جامعة ال جيلالي بونعامة

خميس مليانة

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

البيوتات العلمية في تمبكتو وإسهاماتها الحضارية خلال القرن 16م

مذكرة تخرج تندرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

شعبة التاريخ

من إعداد الطلبة:

جوابي يسرى

زعندوش حياة

بإشراف الأستاذ:

بتقة إبراهيم

السنة الجامعية:2020/2019

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء:

أما بعد

أهدي نجاحي إلى من علمني العطاء بدون انتظار، إلى من أحمل إسمه بكل افتخار، إلى من كلله الله بالهبة والوقار، إلى من علمني أن العلم تواضع والعبادة إيمان والنجاح إرادة والحياة عمل.**والدي العزيز الغالي.**

إلى ضياء أعيني إلى مستودع الرحمة، إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي، وحنانها بلسم جراحي، إلى من ألبستني رداء العفة، إلى محط اعتزازي و فخري، **أمي الحبيبة**، إلى من أمر الله ببرهما وطاعتهما.

إلى من أتعب نفسه ليريحني ويرضيني، إلى من ساندني في طلب العلم و دفعني، إلى معنى الوفاء والحب، إلى من يعاملني كأنه والدي، وإلى من شاركني أعباءة هذه الدراسة.**زوجي الغالي.**

إلى من قاستهم ظلمة الرحم، قاسموني المحبة، إلى عروق دمي، إلى من أرى التفاؤل بأعينهم والسعادة في ضحكتهم **إخوتي:** "عبد الله، محمد رياض، سارة، إلهام"، حفظهم الله.

إلى جميع الصديقات المخلصات اللواتي جمعتني بهن أخوة لم تعرف المادية إليها سبيلا وخاصة: "نائلة"، أمينة، عائشة، زبيدة، نجاة، راضية". وإلى كل من شاركتني أعباء هذه الحياة".

إلى الشموع التي تحترق لكي تضيء للآخرين، إلى كل من ناضل في سبيل غدا أفضل إلى كل من ينبض قلبه بحب الجزائر.

إلى كل من وسعته ذاكرتي ولم تسعه مذكرتي.

يسرى

شكر وعرفان

الحمد لله الذي هدانا بنور الإسلام، والذي تواضع له كل شيء، والصلاة والسلام على من لا بني بعده.

أشكر الله سبحانه وتعالى وأحمده على توفيقه لنا على إتمام هذا العمل، كما نتقدم بجزيل الشكر وخالص الوفاء والامتنان إلى أستاذنا الفاضل" **بتقة إبراهيم**" الذي لولا إشرافه وتواضعه، ومساعدته ونصائحه وإرشاداته السديدة، كما كان لهذا العمل أن يكمل بهذا الشكل.

كما نتقدم بخالص الشكر إلى جميع الأساتذة الذين لم يبخلوا علينا بنصائحهم القيمة ومساعدتهم لنا خاصة "الدكتور شعباني نور الدين، والدكتور سليماني يوسف" وأشكر كل من ساهم من قريب أو بعيدفي انجاز هذا العمل المتواضع وبارك الله في الجميع.

المقدمة

مقدمة

لقد امتدت وانتشرت الثقافة العربية الإسلامية في غرب القارة الإفريقية في فترة العصور الوسطى، والتي عرفت خلالها أوج ازدهارها وتطورها حيث نشأة بها مراكز ثقافية لعبت دورا كبيرا في تطور الثقافة في الغرب الإفريقي، ومن بين هذه المراكز نجد تمبكتو، وهي التي قامت بدور بارز في بلاد السودان الغربي و وسطها وشرقها.

تعد مدينة تمبكتوو من أهم مدن الساحل والصحراء في الماضي والحاضر، وقد مثلت منذ نشأتها مركز ثقافة وإطلاع، وقد تأثرت وأثرت في حولها، فأصبحت من أهم مراكز الإشعاع الحضاري خصوصا في القرن 16م. فقد اكتسبت أهمية تجارية باعتبارها مركزا هاما للقوافل التجارية القادمة من الشمال الإفريقي بصفة عامة. وقد كانت سوقا يلتقي فيه الوافدين من طرابلس وتوات وتافيلات وتغازة، ومن المعروف أن هذه القوافل التجارية كانت مصحوبة بحركة علمية وثقافية مثلها مختلف العلماء والثقافة في السودان الغربي كله، وقد وصفت بأم مدائن السودانيين في العلم والحضارة.

لقد اهتم هؤلاء العلماء بنشر العلم في منطقة تمبكتو –حيث ظهرت أسر علمية توارثت العلم والمعرفة في تمبكتو زادت من ثرائها الثقافي والعلمي في تلك الفترة. وقد أعطوا اهتماما كبيرا للمنطقة حتى أصبحت حاضرة علمية ذاع صبتها في البقاع الإسلامية. ومن خلال هذا كان إخيارنا لموضوع البيوتات العلمية التي كانت في تمبكت، فقد تتمثل أهمية هذا الموضوع في إبراز هذه العائلات والدور الذي قامت به هناك.

أما عن دوافع اختيار الموضوع فهي تتمثل في الميول الشخصي لدراسة تاريخ إفريقيا من جهة و إعطاء دراسة علمية حول الموضوع، وفقر المكتبة الجزائرية من الدراسات الإفريقية، والرغبة في توسيع معرفتها حول هذه المدينة، مع إبراز دور هؤلاء العلماء ومكانتهم في تاريخ منطقة تمبكتو.

ويطرح الموضوع إشكالية رئيسية مفادها:

–إلى أي مدى ساهمت عائلة البيوتات العلمية في تطور وازدهار حاضرة تمبكتو حضاريا؟ وماهي مظاهر ذلك.

و تندرج ضمن هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية نذكر منها:

- كيف ساهمت العوامل الطبيعية والجغرافية على ظهور حاضرة تمبكتو وتطورها؟
- كيف ساهم موقع تمبكت في استقطاب هذه الفئات؟
- ماهي عوامل ازدهار الحياة العلمية والثقافية في تمبكتو؟
- كيف نشأة هذه الأسر العلمية بالمنطقة؟
- فيما تمثل تأثير هذه الأسر العلمية في المجتمع التنبكتي؟

أما فيما يتعلق بالمنهج المتبع في عرض الموضوع فقد اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي الذي يتلائم مع موضوع المذكرة فهو عرض في تتبع الأحداث التاريخية، ووصف الموقع الجغرافي للمدينة وأهميته بالنسبة لحركة القوافل التجارية.

والإجابة عن التساؤلات التي سبق طرحها قمنا بتقسيم بحثنا هذا إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، وقد اعتمدنا على الخطة التالية:

الفصل الأول وهو بعنوان" منطلقات تاريخية وجغرافية للمنطقة" حيث تطرقنا في هذا الفصل إلى الجغرافيا والسكان، والتعريف بالمنطقة، وتأسيسها. أما **الفصل الثاني** فهو بعنوان" البيوتات العلمية في تمبكت وعوامل ظهورها"، حيث تحدثنا في هذا الفصل على أهم العوامل المساعدة في ظهورها، وأهم هذه الأسر. أما **الفصل الثالث** فقد تطرقنا فيه الإنتاج العلمي وحركة التأليف لهذه الأسر، ودورها في نشر العلم والثقافة العربية الإسلامية، واستعرضنا فيه أيضا دور البيوتات العلمية في التواصل العلمي والثقافي مع بلاد المشرق، ومع بلاد المغرب الإسلامي، ومع شعوب غرب إفريقيا جنوب الصحراء.

أما الخاتمة فقد تناولنا فيها أهم نتائج البحث العلمية، مجيبا على الاستفسارات والتساؤلات المطروحة في بحثنا، وكانت متبوعة بقائمة الملاحق وقائمة المصادر والمراجع.

والإنجاز هذه الدراسة اعتمدنا على مجموعة من المصادر التاريخية، ومن بين هذه المصادر نجد أحمد بابا التنبكتي كتابه: "نيل الابتهاج بتطوير الديباج"، وقد تحدث هذا الكتاب على الإعلام الذين عاصروه وكان لهم الدور الكبير في ازدهار الحركة الإسلامية بالمغرب والسودان، وبالأخص العلماء الذين أبرزوا دورهم في الحياة العلمية بمدينة تنبكت– بالإضافة إلى كتابة الآخر:"كتابة المحتاج لمعرفة من ليس بالديباج"، وهو أيضا يتحدث عن الإعلام والفقهاء وهو مكمل للكتاب الأول.بالإضافة إلى مصدر آخر لمحمود كعت كتابه

بعنوان: "تاريخ الفتاش" فقد أفادنا هذا الكتاب في مجال الحركة الفكرية والعلمية بمدينة تمبكت. بالإضافة إلى كتاب عبد الرحمن السعدي بعنوان: "تاريخ السودان" حيث أفادنا في التعريف بمدينة تمبكت، وأشار فيه إلى أشهر فقهاءها قضاتها.

وقد اعتمد أيضا في هذه الدراسة على مجموعة من المراجع من بينها: محمد الغربي كتابه بعنوان: "بداية الحكم المغربي في السودان الغربي"، حيث أمدنا هذا الكتاب بكثير من المعلومات حول تمبكت، وكذلك ذكر بعض العلماء الوافدين إليها من المغرب الأقصى. بالإضافة إلى كتاب زمان عبيد وناس بعنوان:" تمبكتو وأثرها الحضاري في العصور الوسطى الإسلامية المتأخرة".وقد أمدنا هذا الكتاب أيضا بكثير من المعلومات حولها، وقد اعتمدنا أيضا على كتاب عبد القادر زبادية بعنوان:"مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، حيث أفدنا في هذه الدراسة.بالإضافة إلى بقية المصادر والمراجع التي أفادتنا في هذا الموضوع .

وقد اعتمد أيضا على مجموعة من الدراسات السابقة من بينها أطروحة الدكتوراه لمقاديهم عبد الحميد بعنوان:" المدارس العلمية ودورها السياسي والثقافي في السودان الغربي" فقد أفادتنا كثيرا في بحثنا هذا. بالإضافة إلى رسالة الماجستير لمحمد ألفا جالو بعنوان:"الحياة العلمية في دولة سنغاي خلال الفترة 1464-1591م"، بالإضافة إلى رسالة الماجستير لنور الدين شعباني بعنوان:" علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وأثارها الحضارية بين القرنيين 4-9هـ/10-15م. حيث أمدتنا كل هذه الرسائل بمعلومات حول موضوعنا.

وقد واجهتنا في دراسة موضوعنا جملة من الصعوبات، حيث تمثلت في ندرة المادة العلمية الخاصة بالفصل الثالث، وصعوبة الترجمة في بعض المراجع الأجنبية، وتشعب المعلومات وصعوبة التحكم فيها.

وبالرغم من هذه الصعوبات والمشاكل التي وقفت في وجهنا عند إنجازنا لهذا العمل إلا أننا استلمنا أن نبني بحثا يحمل معلومات استعملنا تحصيلها بالبحث المستمر والتنقيب في الكتب بكل ما أتيح لنا من وسائل علمية. وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل من قدم لنا يد المساعدة من قريب أو بعيد.

الفصل الأول:

منطلقات جغرافية و تاريخية لمدينة تمبكتو

المبحث الأول : الجغرافيا و السكان

أولا: الموقع

ثانيا: اصل التسمية

ثالثا : التركيبة البشرية

المبحث الثاني : تأسيس حاضرة تمبكتو و تطورها

أولا : مفهوم الحاضرة

ثانيا :تأسيس مدينة تمبكتو

ثالثا : تحولها الي حاضرة

المبحث الثالث: الأهمية الاقتصادية و الاجتماعية لحاضرة تمبكتو

أولا : الأهمية الاقتصادية

ثانيا : الحياة الاجتماعية

تعد تومبوكتو من أهم المراكز الحضارية في غرب القارة الإفريقية، وقد مثلت منذ نشأتها مركز ثقافة وإشعاع حضاري علمي واسع، حيث تحولت بعد تأسيسها إلى حضارة علمية، وكان للدور الاقتصادي والاجتماعي عامل كبير في اكتسابها شهرة عظيمة ومكانة خاصة في نفوس أبناء إفريقيا، ونرى أيضا أن الموقع الجغرافي كان أيضا عاملا مهما.

المبحث الأول: الجغرافيا و السكان.

أولا: الموقع.

تنتمي تمبكتو إلى الإقليم الجغرافي الذي أطلق عليه الجغرافيون الصحراء الكبرى و هذه الصحراء تشغل مساحة واسعة من القارة الإفريقية[1] فهي تقع على منعطف نهر النيجر في الغرب و على باب الصحراء في الشمال [2] تحديدا، فإن تمبكتو تقع ضمن المنطقة التي تعرف بالسودان الغربي، و التي تبدأ من ثنية نهر النيجر حتى ساحل المحيط الأطلسي بين خط العرض 5° و 25° شمالا، و من خط الطول 17° غربا إلى 150° شرقا[3].

و موقع تمبكتو من هذا الإقليم الحافة الجنوبية من الصحراء الكبرى شمال دولة مالي الحالي، على منحى نهر النيجر عند دوران قوسه الشمالي بحيث تصل إليه بعض قنوات نهر النيجر المتفرعة عنه.[4]

و تعتبر مدينة تمبكتو حلقة وصل بين السودان الغربي و الصحراء الكبرى [5]، حيث تقع في موقع إستراتيجي مهم في ملتقى الطرق التي تمر بها القوافل التجارية عبر الصحراء [6]

---

[1] – زمان عبيد وناس: **تمبكتو و أثرها الحضاري في العصور الوسطى الإسلامية المتأخرة**، دار الأيام، د.ط، د.ت، ص27.

[2] – محمود محمد ددب التنبكي الأرواني: **من تراث تمبكتو و الساحل الإفريقي**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة، الرباط، 2011، ص13.

[3] – Triminghnm J.S : Islam in West Africa , Oxford univ, London,197,p1.

[4] – إبراهيم عبد العباس:" **الحركة الفكرية و العلمية لمدينة مراكش منذ تأسيسها حتى سقوطها الدولة الموحدية و أثرها على المراكز لعلمية جنوب الصحراء**"، رسالة ماجيستر، جامعة القاهرة، 1980، ص419.

[5] – الهادي المبروك الدالي: **مملكة مال الإسلامية و علاقتها مع المغرب و ليبيا من القرن 13 حتى القرن15م**، دار الملتقى، ط1، بيروت، 1993، ص92.

[6] – مقاديم عبد الله: " **المدارس العلمية و دورها السياسي و الثقافي ف السودان الغربي**"، رسالة الدكتوراه، جامعة بن بلة، وهران، 2017–2018، ص68.

لأنها تحظى بموقعها النهري قرب نهر النيجر، [1] و قد أشارت مخطوطة " السعادة الأدبية " الموقع الجغرافي لتمبكتو على أنها تبعد عن قرية (ولاية) خمسة عشرا يوما و أن بعدها من جاو نحو اثنتي عشرة مرحلة من الجهة الشرقية. [2] حيث يبعد عنها نهر نهر النيجر في الصيف 16 ميلا أما في الخريف فإن ماء النهر تقترب منها فيصل إلى سبعة أميال من المدينة[3]، و يقول ابن بطوطة " و بينها وبين نهر النيل أربعة أميال ". [4]

و يتميز موقع تمبكتو بارتفاع معدلات درجة الحرارة اليومية و السنوية و تباينها ما بين الليل و النهار، إذ تصل معدلات الحرارة في منتصف النهار إلى 49° بينما تنخفض في الليل إلى 16°[5]، و لموقع مدينة تمبكتو في إفريقيا ميزتان:

أولهما: أنها كانت على مفترق الطرق القوافل التجارية حتى قيل عنها أنها المكان حيث يلتقي فيه الجمل بالزورق النهري.

ثانيهما: أنها كانت منذ نشأتها في البداية مدينة إسلامية ومن أهم الحواضر الإسلامية المهمة في غرب إفريقيا التي برز اسمها في العالم الإسلامي، وقد تخرج منها علماء و مؤرخون فأمست مكانة تمبكتو الثقافية بارزة حيث يرتبط تاريخ إفريقيا العربية و الوسطى الثقافي و الحضاري و الديني بتاريخ هذه المدينة بحد ذاتها. [6]

وقد وصفها بعض المؤرخين مثل ديبوا الذي زارها سنة 1853م، الذي قال عنها " تمبكت العجيبة مدينة الخيال" [7]، فهي مدينة الرمال الفضية القارية، ونقطة وصل بين إفريقيا

---

[1]– علي مولا: **الموسوعة العربية المسيرة، المكتبة العصرية**، ط1، بيروت، 2010، ج2، ص1031. الهادي المبروك الدالي: نفس المرجع، ص93.

[2] – الهادي مبروك الدالي: نفس المرجع، ص93.

[3] – ابن بطوطة أبو عبد الله ابن محمد الولاتي: **تحفة النظار في غرائب الأمصار و غرائب الأسفار، مطبعة الأزهرية**، ط1، ج4، مصر، 1928 ، ص430.

[4] – محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريدية: **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ و حضارة**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2007، ص96.

[5] – زمان عبيد وناس: المرجع السابق، ص33.

[6] – محمد فاضل علي باري: نفس المرجع، ص97.

[7]– فليكس ديبوا: **تمبكت العجيبة**، تر: عبد الله عبد الرزاق، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2003، ص169.

العربية شمالا، و إفريقيا السوداء جنوبا [1]، و أن مساحة هذا الإقليم تقدر بحوالي 192 كلم مربع، و تختلف فيه الجغرافية حسب البعد عن الصحراء الكبرى.[2]

و قد قال ديبوا عند زيارته لها:" أنها قد اختفت الغابة من أعيننا و لاشيء يخفى هذه الأرض المبسطة التي تنيرها شمس الصحراء البراقة، إنها حقا مدينة الخيال"، وقال أيضا " إنها مدينة تمبكت العظيمة حاضرة السودان و الصحراء، و مصدر الثروة و التجارة، إن هذه تمبكت المقدسة و مهد العلماء و نور النيجر".[3]

و يقول الشيخ السعدي صاحب تاريخ السودان: " ثم إختارو موضع هذه البلدة الطيبة الطاهرة الزكية الفاخرة، ذات بركة ونجعة و حركة، التي هي مسقط رأسي و بغية نفسي".[4]

كما ذكر حس الوزان عن موقعها " أنه لا يحبط بتمبكتو أي بستان أو حديقة ".[5]

ثانيا: أصل التسمية.

اسم مدينة تمبكتو حديث[6]، وقد كتبت " تمبكت" بضم التاء الأولى و الثانية كما وجدت وجدت في تاريخ السودان المحلية، كما رسمت أيضا " تينبكت" بإضافة حف الياء بعد التاء.[7]

أما في كتب الرحالة العرب فقد جاءت كتابتها بإضافة حرف الواو في الأخير" تمبكتو".[8]

وقد ضبط ابن بطوطة اسمها بضم التاء المعلوة و سكون النون و ضم الياء الموحدة و سكون الكاف و ضم التاء المعلوة و واو[1]، أما عند الباحثين و المستشرقين فقد جاءت بصورة

---

[1] – محمد عبد الرحمن سوالمية: **تمبكتو جوهرة تغمرها الرمال، مطبعة المتوسط**، ط1، بيروت، 1986، ص27.

[2]– زمان عبيد وناس: المرجع السابق، ص32.

[3] – فيلكس ديبوا: نفس المرجع، ص169.

[4] – عبد الرحمن السعدي: **تاريخ السودان**، طبع هوس، باريس، 1981، ص20.

[5] – حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حدبي و محمد الأخضر، دار الغرب، ط2، بيروت، 1983، ج2، ص167.

[6] – نفسه، ص165.

[7] – محمود كعت: **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان و الجيوش و أكابر الناس**، د.ط، هوداس دولافوس، 1964، ص14.

[8] – زمان عبيد وناس: المرجع السابق، ص23.

بصورة مختلفة فرسمت تارة " تمبكت" كما في كتب السودان، و جاءت تارة أخرى " تنبكتو" بضم التاء الأولى و الثانية و إضافة حرف الواو في الأخير، و كتبها بعض الباحثين أيضا "تنبوكتو"(Tunbuktu) و طونبكتو باستبدال حرف التاء بحرف الطاء.[2]

أما سبب تسمية هذه المدينة يقال أنه مأخوذة من اسم العجوز التي كان الطوارق قد عهدوا إليها بالبقاء في ذلك المكان حينا يغادرونه في رحلتهم الصيفية، وكانت تحرص لهم في بعض المخازن و البيوت.[3] و أن تلك المرأة الطوارقية تدعى "تن أبو توت" حيث كانت تمكث قرب بئر ماء، و عند هطول الأمطار كان الطوارق يتركون بضاعتهم عندها[4]، وقد اختلفت الروايات حول تسميتها. كما قيل عند الباحث الهادي المبروك الدالي ن الطوارق إبان رحلتهم كانوا يتركون أمتعتهم وحوائجهم لدى أمة تدعى "تنبكت" تقوم بحراستها و تجهيزها لهم، لذا سمي الموضع الذي تقيم فيه باسم تلك المرأة.[5] و مع مرور الزمن تطور هذا المكان إلى مدينة أخذت اسمها من تلك المرأة ليصبح تمبكتو.[6]

و هناك من يرى أن اسم هذه المدينة يعني " بئر بكتو" و قد جاءت هذه التسمية من أن ذلك المكان كان قد اتخذته الطوارق مركزا للانتجاع بمواشيهم في فصل الجفاف بالسودان، حوالي بداية القرن التاسع ميلادي وقد حفروا فيه بئرا، ثم تكاثرت الآبار بعد ذلك بالتدرج و صار التجار يتلاقون في ذلك المكان و يقيمون من حوله للراحة أحيانا.[7]

و هناك رواية أخرى تقول أن قصتها بدأت في الصحراء حول بئر ماء كانت تقف عندها قوافل الطوارق لترتوي، و عند هذه البئر كانت هناك امرأة تقيم تدعى " بكتو" عرف

---

[1] – ابن بطوطة: المصدر السابق، ص430.

[2] – زمان عبيد وناس: نفس المرجع، ص23.

[3] – سليمان يوسف: " **منابر العلم و الثقافة في إفريقيا جنوب الصحراء(حاضرة تمبكتو)**، **مجلة الدراسات الإفريقية**، العدد الأول، ماي 2014، ص152.

[4] – محمد فاضل علي باري: المرجع السابق، ص97.

[5] – الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص92.

[6] – محمد فاضل علي باري: نفس المرجع، ص97.

[7] – عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط1، الجزائر، ص100.

المكان باسمها تمبكتو و هي تعني في لغة الطوارق مكان بكتو و استقر اسمها على هذا الحال.[1]

و يقول السعدي" فجعلوها خزانة لمتاعهم وزروءهم إلى أن صارت مسلكا لسالكين في ذهابهم و رجوعهم، وخزانهم أمتهم مدعوة " تنبكت" و معناها في لغتهم العجزة و هي بها فسميت الموضع المبارك، ثم أخذ الناس يسكنون فيه ويزداد بقدرة الله و إرادته".[2]

و قد حملت تمبكتو أسماء عديدة، كالمدينة الفاضلة، و المدينة الثرية، المدينة الممنوعة، جوهرة الصحراء، مدينة الإشعاع الإسلامي، وغير ذلك من الأسماء الأخرى التي عكست خصائصها على مدى ثلاثة قرون كاملة.[3]

إن الباحث الهادي المبروك الدالي لا يميل إلى تلك الرواية العجوز لأنه يراها بعيدة لسببين:

1- إن ظروف الحياة المناخية و الجغرافية لا تسمح لهذه المرأة بالبقاء وحدها في تلك الصحراء.

2- إن جانب الأمن مطلوب للحياة و هو غير متوفر في تلك المنطقة و في تلك الفترة لذلك يرى الباحث أن السبب جعل اسم هذه المرأة علما لتلك المنطقة هو احتمال أنها كانت لها مكانة مرموقة بين جماعتها التي كانت تقطن معها و بذلك أصبح اسمها علما من أعلام تلك المنطقة.[4]

ثالثا: التركيبة السكانية.

سكان تمبكتو كانوا خليطا من العرب الوافدين من غدامس و طرابلس و المغرب الأقصى و الطوارق، و أول من عمر المكان هم الطوارق منذ القرن 11م، و قد حدث تزاوج بين السكان الأصليين لتمبكتو و هؤلاء القادمين عليهم، حيث صار لقادمون من الشمال

---

[1] – عطية مخزوم الفيتوري، **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا و جنوب الصحراء لمرحلة انتشار الإسلام**، دار الكتب الوطنية، ط1، بنغازي، 1998، ص290.

[2] – عبد الرحمن السعدي: المصدر السابق، ص21.

[3] – قادية عبد العزيز ابراهيم القطعاني: **المراكز الحضارية في القارة الإفريقية، و دورها التعليمي و الثقافي في بلورة الشخصية الإفريقية، مجلة التعليم العربي الإسلامي في إفريقيا**، العدد الأول، 2015، ص96.

[4] – الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص92.

الإفريقي أمراء و حكام مالي و كذلك عامة الشعب لدرجة أن اصهروا انصهارا كاملا في المجتمع، و هذا الأمر هو الذي يؤكد روح التلاحم بين أهل تمبكتو الأصليين و جيرانهم من عرب الشمال الإفريقي.[1]

و قد قال السعدي عنها أنها: " يأيتها الناس من كل مكان حتى صارت سوقا عامرة للتجارة يرد إليها الرفاق من الأفاق و سكن فيها الأخيار من العلماء و الصالحين من أهل مصر و جبل فزان، و غدامس و درعة و فاس و السوس".[2]

و أنه كان لأهل المدينة عدد كثير من الرقيق ذكورا و إناثا يعملون في خدمتهم [3]، و قد كان أهلها ملتزمون بالإسلام و محبون للسنة و كانوا محاربون للبدع و الخرافات، و كان لهم فضائل عديدة، فان من دخل إليهم خائفا وجد السكينة و الطمأنينة، و من سكن فيها عاما و أكثر نسي فعلته و تاب عند دخوله لها، فهم أهل فقه و علم وصلاح [4]، لأن مدينة تمبكتو مدينة إسلامية منذ نشأتها.[5]

و قد قال عنها السعدي: " ما دنستها عبادة الأوثان، و لا سجد على أديمها لغير الرحمان، مأوى للعلماء و العابدين و ملقى الأولياء و الزاهدين" [6]. و أن أهل هذه المدينة قد امتازوا بالسماحة، فلم يكن منهم من به فظاظة و قد كانوا كرماء فهم يحبون الغريب و يقدمونه على أنفسهم و لا ينسون من عاشرهم من الناس.[7]

المبحث الثاني: تأسيس حاضرة تمبكتو و تطورها.

مفهوم الحاضرة لغة.

---

[1] – نفسه، ص 93.

[2] – عبد الرحمن السعدي: المصدر السابق، صص21.

[3] – حسن الوزان: المصدر السابق، ص167.

[4] – الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص94.

[5] – عصمت عبد اللطيف دندش: **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 1038–1121م**، دار العرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988، ص167.

[6] – عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص21.

[7] – الهادي المبروك الدالي: نفس المرجع، ص94.

يعرف ابن خلدون المنظور "حاضرة" صفة طائفة أو جماعة و في الحديث الصبح فإنها مشهودة.

و يضيف كذلك و الحاضرون الذين يرجعون إلى المحاضر و الحضرة موضع التمر و أجمل الفلح يسمونها الحوية.

و الحضيرة جماعة القوم الذين يحضرون المياه و يتقدمون الخيل و هم الطلائع.[1]

إصطلاحا: و هي المراكز الحضارية الكبرى في بلاد السودان لغربي تأسست في نهاية القرن الخامس هجري سنة 490هـ- 1094م على يد الطوارق [2]، و ذلك بعد اضمحلال مملكة غانا تقع تمبكتو في مكان استراتيجي مهم في ملتقى طرق التي تمر بها القوافل التجارية عبر الصحراء.[3]

كما تحظى بموقعها النهري قرب نهر النيجر و بذلك تكون المدينة الوحيدة التي تتحكم في الطرق البرية و النهرية التي تعد إلى بلاد السودان من بلاد المغرب و مصر عبر الطريق الصحراوي الذي يعود إزدهار تنبكت الثقافي إلى هجرة الكثير من العلماء إليها خصوصا بعد خراب مدينة ولاته من طرف قبائل الصوصو و هذا بتشجيع من الأسكيا محمد و ابنه داوود لهذه الهجرات.[4]

و خصوصا بتكريم العلماء و الصلحاء القادمين إلى تنبكت و بالتالي عرفت نهضة ثقافية فضلا عن النهضة التجارية و قد سجل هذا الازدهار الرحالة حسن الوزان " في تنبكتو عدد كثير من القضاة و الفقهاء و الأئمة".يدفع الملك إليهم جميعا مرتبا حسنا و يعظم الأدباء كثيرا و إتباع أيضا مخطوطات كثيرة تأتي من بلاد بربر و تدر أرباح سائر البضائع".[5]

و بهذا لإهتمام الذي وجد هؤلاء العلماء و طلاب العلم من جانب الدولة التي وفرت لهم المكتبات الزاخرة بالكتب و بالتشجيع المنقطع النظير للعلماء بغلت الحياة الثقافية

---

[1] – ابن المنظور: **لسان العرب**، دار المعارف، 1980، ج4، ص234.

[2] – عبد الرحمن السعدي، **تاريخ السودان**، تحقيق هواداس(نسخة العربية)، ص20.

[3] – الأرواني: **جواهر الحسان في أخبار السودان**، ص45.

[4] – عبد الرحمن السعدي: المرجع سابق، ص 26.

[5] – يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقيا العربية الإسلامي**، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص158.

و الفكرية أوجه [1] و أصبحت تنبكتو قبلة الأساتذة الزائرين من شتى أنحاء العالم الإسلامي. كفاس و القيروان و طرابلس و مصر لتدريس في مدارسها و أصبحت تنبكتو تضاهي المراكز العليمة العلمية في العالم الإسلامي.[2]

ثانيا: تأسيس مدينة تمبكتو.

مدينة تمبكتو من أقدم بلاد السودان و أعرقها [3]، و قد اختلف المؤرخون في تاريخ تأسيسها إلا أن أغب الأراء تؤكد أنها تأسست في أواخر القرن الخامس للهجري (الحادي عشر ميلادي) [4]، و ذلك على أيدي الطوارق [5] فعبد الرحمن السعدي يرى أن المدينة قد أنشأت على يد الطوارق أمقشرن في أواخر القرن الخمس من الهجرة أي الحادي عشر ميلادي، قد أتوا إليها الخريف يرتحلون عنها.[6]

أما حسن الوزان الذي قام بزيارة هذه المدينة يورد أن تأسيس هذه المدينة بناها ملك يدعى منسى سليمان عام 610 للهجرة أي 1204م.[7]أما المؤرخون ديبوا يورد أن مدينة تمبكتو ظهرت في أواخر القرن 5هـ/ 1100م على يد قبيلة من الطوارق تدعى ماكسار(Maksarg) و التي ترعى فيها مواشيهم على شواطئ النهر و كانوا يعدون إلى الصحراء عند فيضانات الشتاء هذه القبيلة قامت باختيار هذا الموقع و أنشئت به معسكرا خاص بها، و وضعت عليه امرأة عجوز تدعى (تمبوكر) لحراسته.[8]

---

[1] – نفسه، ص154.

[2] – هادي مبروك دالي: **تاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء، دار الدولية للاستثمارات الثقافي**، ط1، ص103.

[3] – محمود محمد ددب التنبكتي الأوراني: المرجع السابق، ص13.

[4] – الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص91.

[5] – الطوارق: هم المسوفة ينتسبون إلى صنهاجة و هم طواغن في الصحراء، لا يطمئن بهم منزل ليس لهم مدينة يأوون إليها و مراحلهم في الصحراء مسيرة شهرين ما بين بلاد السودان و بلاد الإسلام و هم على دين الإسلام و أتباع السنة وهم يجاهدون السودان و صنهاجة و يرفضون أنسابهم إلى حمير و ليس بينهم و بين البربر نسب إلا الرحم. السعدي: المصدر السابق، ص25.

[6] – عبد الرحمن السعدي: نفس المصدر ، ص20

[7] – حسن الوزان: المصدر السابق، ص165.

[8] – فيلكس ديبوا: المرجع السابق، ص 184.

و هناك من يقول أن نشأة هذه المدينة ترجع إلى أواخر القرن الخامس عشر للهجرة على أدي الطوارق الذين اتخذوا موقعها مكانا لهم، ينزلون به في فصل الصيف ثم يرتحلون عنها في فصل الخريف و هكذا أصح موقع هذه المدينة قبل قيامها محطة للقوافل يحتفظون فيها ببعض متاعهم و الزائد عن حاجياتهم من الحبوب و الأمتعة ينتفعون به عند عودهم إليها في الصيف القادم، و لما كثر مرور القوافل نزلوا بالمكان بعض التجار و استوطنوا به[1]، و هناك من يقول أيضا أنها تأسست عام 494هـ/ 1100م،

فنحن هنا نلاحظ اختلاف المؤرخين حول تأسيس هذه المدينة. لكن نحن نكذب هذه الآراء المختلفة و نميل مع رأي ابن المدينة ألا وهو عبد الرحمن السعدي الذي قال أنها تأسست على يد الطوارق أمقشرن في أواخر القرن الخامس من الهجرة أي الحادي عشر ميلادي.[2]فقد كانت محطة لراحة التجار و إقامتهم لمدة قصيرة أحيانا.[3]

إن عمر هذه المدينة لا يتجاوز 880 عاما أي أنها أنشئت حوالي 1110م، و أن دور تمبكتو كانت عند تأسيس المدينة عبارة عن أكواخ مبنية بأوتاد ملموطة بالطين و مسقوفة بالتين، و في وسط المدينة مسجد مبني بالحجر المركب بالطين و الجير على يد مهندس أندلسي، و هناك قصر كبير من بناء نفس المعلم يسكنه الملك، و كانت هناك دكاكين كثيرة للصناع و التجار [4] و أن في بداية أمر مساكن الجماعات القاطنة هناك كانت من عيدان الأشجار و الحشائش ثم تطورت هذه المساكن و أصبحت تبنى من شجر (الميان) وبقيت فترة من الزمن هكذا إلى أن تطورت حياة الإنسان و أصبحوا يبنون مساكنهم بأوتاد مخلوطة من الطين و مسقوفة بالتين.[5]

---

[1] – محمد ألفا جالو: " **الحياة العلمية في دولة سنغاي خلال الفترة 1464– 1591م**"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1993، ص74.

[2] –محمد فاضل علي باري: المرجع السابق، ص98.

[3] –السعدي: المصدر السابق، ص20.

[4] – محمد ألفا جالو: نفس المرجع،ص75.

[5] –عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق، ص 290.

و قد كانت المساجد و المنازل بلا أسوار و نستدل بهذا عن قول السعدي " كانت مساكن الناس فيها زربيات و أشواك و بيوت الأحشاش ثم تحولوا عنها إلى بناء الحيوط أسوارا قصارا جدا بحيث من وقف في خارجها يرا ما بدخلها."[1]

و يذكر كعت أن قصر السلطان كان في محله بلمع جند في تمبكتو. و هناك كانت دور تجار تمبكتو و كبراء في جهاتها، و أن السلطان كان يبات ليلة واحدة عندما يحل بالمدينة.[2]

و أن المدينة كانت مقسمة إلى عدة أحياء، فهناك حي " سانكوري" و يسمى أيضا " سونكوري" و يقع هذا الحي شمال تمبكتو، و هو خاص يسكنه لعلماء و العائلات الصنهاجية و في هذا الحي مصلى الجنائز الكبراء و الصلحاء، إذ يقوم أهل تمبكتو بتشييع جنائز كبرائهم و علمائهم في هذا المكان [3]، و كان من عادات و تقاليد أهل تمبكتو تقتضي الدفن قرب المساجد [4].و إلى الجنوب الشرقي للمدينة كانت هناك حيان أحدهما يسمى (ساراكينا) و الثاني حي (بويوكينا) و قد أقيمت قرية مساكن الجند و قصر السلطان الذي يحل فيه عند زيارته.[5]

ثالثا: تحولها إلى حاضرة.

لقد خضعت تمبكتو عبر تاريخها بالتبعية للعديد من الملوك و الحكام، و أولهم الطوارق، حيث كانوا يعينون عليها زعيما ليس منهم حيث أنهم لا يسكنون إلا البراري لأنهم من البادية[6]، و بعد سيطرة الطوارق طول هذه الفترة تمكن ملوك مالي من سلبها بين أيديهم في أواسط القرن الثامن للهجرة – الثالث عشر ميلادي، و تحديدا سنة 737هـ/1336م، و كان هذا على يد الملك منسى موسى الذي سعى إدخال نظام السلطنة و شيد دار للحكم

---

[1] – عبد الرحمن السعدي: المصدر السابق، ص22.

[2] – محمود كعت: المصدر السابق، ص110.

[3] – الغربي: **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، مؤسسة الخليج للطباعة و النشر، الكويت، 1982، ج1، ص575.

[4] –السعدي،المصدر السابق، ص 56.

[5] – الغربي: نفس المرجع، ص 575.

[6] – مقاديم عبد الحميد: المرجع السابق،ص69.

حيث دام حكمها 100سنة[1]، و كانت من مآثر " موسى الأسود" جعل هذه المدينة مركز للعلم و التدريس، يعد إليها طلاب من المسلمين من شتى أنحاء إفريقيا و من البلاد العربية.[2]و هو أول من أدخل إليها نظام السلطنة و أنشأ فيها مراكز الحكم.

و بعد اضمحلال مملكة مالي عادت إلى الطوارق من جديد و بقيت بأيديهم مدة أربعين سنة ثم إنتزعها منهم سني سنة (1466م) و بعد هذا عاد حكم تمبكت إلى الأساكي التي ظلت تحت حكمهم لأكثر من مئة سنة من 898هـ/1492م إلى 1000هـ/ 1591م، و بعد ذلك سقطت على أيدي السعديين المغاربة.[3]

و في القرن السادس عشر و هي أيام الأسقيا محمد الكبير بالذات حيث أقام بها حسن الوزان (البيون الإفريقي) كانت رحلته الأخيرة لبلاد السودان قد تمت في سنة 1507م، وقد وصف لنا الحياة فيها. و قال أنها كانت مدينة عظيمة الشأن و فيها كثير من الدكاكين المملوءة بالمنسوجات و الكتب، و فيها كذلك عدد كبير من حوانيت الحياكين و الحدادين و الجزار.

و قد كانت تمبكتو آنذاك مقسمة إلى أحياء و في كل حي منها يسكن تجار من بلد من البلدان الإسلامية التي تقصد قوافلها السودان فهناك تجار غدامس و لهم حي خاص بهم و هناك تجار من توات و لهم حي خاص بهم كذلك و هناك خليط من التجار الأخريين و لهم حي خاص بهم. أما تجار بلدان المغرب فكانوا يتوزعون بين أحياء جديدة.[4]

حيث تواصل حكم الأسكيا لمدة قرن كامل، إذ تولى الأسكيا الحاج زمام الحكم في مدينة تمبكتو حتى سقوط دولة سنغاي سنة 999هـ/ 1590م، حيث أصبحت تمبكتو العاصمة الثانية للسونغاي و أصبحت المركز العلمي و التجاري الأول فيها خلال

---

[1] – الهادي المبروك الدالي: **التاريخ الحضاري لإفريقيا وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس العشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، منشورات البحوث و الدراسات، ط2، طرابلس، 2001، ص103.

[2] – جوان جوزيف: **الإسلام في المماليك و إمبراطورية إفريقيا السوداء**، تر: مختار السويفي، دار الكتاب المصري، ط1، القاهرة، 1404هـ/1984م، ص 75.

[3] – مقاديم عبد الحميد: نفس المرجع، ص69.

[4]– عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين** ، ص101-102.

القرن16م، و لم تلبث إلا أن أصبحت عاصمة تحتل الدرجة الأولى من بين دول السودان و السبب الذي يعود للهدوء الأمان خلال هذه الفترة، خاصة في فترة الأسكيا الكبير.[1]

و قد توسعت المدينة حتى تضاعفت مساحتها و أعيد تجديد المساجد القديمة فيها و ترميم المدارس القرآنية[2]، و أن مدينة تمبكتو شرعت ببناء منازلها ذات الأسقف المنتظمة بعد أن حكمها الملك منسى موسى حيث نجد أن مدن مالي بالكامل اتسعت كثيرا على يده.[3]

و المعروف أن هذه المدينة لقد عرفت نوعا من الازدهار و تحولت إلى حاضرة من خلال فترات حكمها خاصة في عهد الأسكيا، بالإضافة إلى عهد السلطان منسى موسى. لكن هذا لا يعني أنها لم تعرف في معظم فترات تاريخها نوعا من التخريب لأنها عرفت فوضى بسبب الغزوات المغربية[4]، و بالنظر إلى هذا الازدهار لتمبكتو إذ صار مقامها من السودان مقام الوجه من الإنسان.[5]

و يبدو أن ملوك مالي لم يهتموا بتلك المدينة لأنها بعيدة عن عاصمتهم و مراكز عصبتهم، ولم يجتهدوا في توسيعها و العمارة إلا بعد ثلاثة قرون، و قد استدعى الملك موسى مهندسا من غرناطة كان يقيم بفاس ليبني له قصار و مسجدا بالمدينة، و قد قام بتنصيب الإدارة المالية في تلك الفترة.

ففي هذه الفترة انتظمت شوارع تمبكتو و أحياؤها و بدت بعض المباني على الشكل الهندسي المغربي و أحيطت المدينة بأسوار و ألحقت الحدائق بالبيوت و أزيلت الخيام و الأكواخ القش لتبنى مكانها المخازن و البيوت متعددة الطبقات [6]، و أن في عهد الطوارق فلم تتطور المدينة كثيرا فقد بقيت في أيامهم على ما هي عليه من قبل.[7]

---

[1] – فليكس ديبوا: المرجع السابق، ص102.

[2] – عبد القادر زبادية: نفس المرجع، ص102.

[3] – الهادي المبروك الدالي: **مملكة مالي الإسلامية و علاقتها مع المغرب و ليبيا**، ص94.

[4] – عبد القادر زبادية: نفس المرجع، ص102.

[5] – الهادي المبروك الدالي: نفس المرجع، ص95.

[6] – الغربي: المرجع السابق، ص574.

[7] – محمد ألفا جالو: المرجع السابق، ص90.

و أن خلال هذا القرن (16م) أصبح سكان تمبكتو يزيدون على خمسة وثلاثين ألف ساكن و صبحت تمبكتو العاصمة الثانية للإمبراطورية في ميدان الاقتصاد و الثقافة معا. [1]و قد تطورت في البنيان و انتظمت شوارعها، و قد قال السعدي: " البنيان ما ثبت عمارته إلا في أواخر القرن التاسع و ما تكاملت البناء في الالتنام إلا في أواسط القرن العاشر في مدة الأسقيا داود ابن الأمير أسكيا الحاج محمد" [2]، فلم تلبث تمبكتو إن احتلت الدرجة الأولى من بين مدن السودان [3]، فأصبحت المدينة المقدسة للسودان فهي مشهورة بأوليائه و جامعتها و كثرة بها المدارس و المساجد.[4]

المبحث الثالث: الأهمية الاقتصادية و الاجتماعية لحاضرة تمبكتو.

أولا: الأهمية الاقتصادية.

بعد ما كانت مدينة تمبكتو محطة لراحة التجار و إقامتهم لمدة يسيرة أحيانا، و لوجود أبار المياه بها، حيث اتخذ الطوارق موقعها مكانا لهم ينزلون به في فصل الصيف ثم يرتحلون عنها في فصل الخريف [5]، و لم يطل هذا كثيرا حتى أخذت بالنمو و الازدياد لكثرة القوافل التي ترد إليها من كل فج، و تحول المكان إلى سوق للتبادل التجاري بين تجار الشمال و تجار الجنوب على حساب المدن التي كانت تجاورها من كل ناحية، و جاءت إلها البضائع من كل جهة و كثر الناس بها.[6]

التجارة هي أهم اقتصاد تمبكتو التي كانت في الأساس سوقا إستراتيجية هامة لتبادل البضائع المتنوعة، حيث تزاحم فيها التجار الوافدين إليها من بلاد المغرب العربي و من غاو

---

[1] – عبد القادر زبادية: " **حركة التعليم في تمبكتو في بلاد التكرور خلال القرن 16م و دور الأوقاف في ازدهارها**"، دعوة الحق، العدد 230، وزارة الأوقاف و الإسلامية، المملكة المغربية، أوت 1983، ص42.

[2] – السعدي: المصدر السابق، ص22.

[3] – الغربي: المرجع السابق، ص575.

[4] – ج. ت. نيابي: **تاريخ إفريقيا العام من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر**، منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلم و الثقافة، باريس، 1988، ج4، ص217.

[5] – السعدي: المصدر السابق، ص21.

[6] – محمد ألفا جالو: المرجع السابق، ص85.

و غد و جني و أرادون. و غيرها من مدن السودان الغربي التي عجت سوقها بالبضائع الأوروبية التي كان التجار من الشمال يجلبونها إليها بالإضافة إلى البضائع المحلية.[1]

و قد كانت مدينة تمبكتو مركزا تجاريا هاما إذ كانت التجارة عماد تكوينها كمدينة منذ بدايتها، الأمر الذي مكنها من استيعاب الوافدين إليها بعد أن برزت كمركز إسلامي مع حضاري[2]. و أن مدينة تمبكتو تقع على ملتقى طرق القوافل القادمة من الشمال الإفريقي و هذا الموقع أعطاها مركزا حيويا ذا أهمية بالغة في المجال الاقتصادي.[3]

فقد عرفت تمبكتو بتجارتها عبر العصور، و إن التجارة كانت تمثل بالدرجة الأولى المصدر الرئيسي في حياة السكان، و تأتي بعدها الثروة الحيوانية التي تمثلت في الإبل الأبقار، الأغنام، و الحمير، و قد كانت حرفة الرعي حرفة أساسية في حياة السكان المجاورين للمدينة، فيتوافدون عليها يبيعون أغنامهم هناك و يشترون ما كانوا يحتاجون إليه من سلع مساهمين بذلك في حركة التجارة.[4]

و قد قال السعدي عنها:" ما دنستها عبادة الأوثان، و لا سجد على أديمها قط أحد لغير الرحمن، مأوى العلماء و العابدين و مألف الأولياء و الزاهدين و ملتقى الفلك السيار" فهي من أهم مراكز التجارة في السودان الغربي و ملتقى الطرق في اتجاهاتها برا و بحرا.[5]

و إن الزراعة و الرعي أيضا لعبا دورا مهما في المجال الاقتصادي، فقد أنتج المزارعون في تنبكت الذرة، القمح، و الأرز، و الخضروات و الفواكه كالمشمش، و الخوخ و زرع التبغ و نبات الكولا، كما استخدمت الخيول و وجدت الطيور الداجنة و الأسماك [6] و من الجدير بالذكر هو أن أهل تمبكتو لم يعتنوا بالزراعة بالرغم من أن بلادهم لا تبعد كثيرا عن نهر النيجر و أن التجارة كانت تمثل لهم الشريان الرئيسي للحياة الاقتصادية [7]، فقد

---

[1] – سليمان يوسف، المرجع السابق، ص145.

[2] – فادية عبد العزيز، ابراهيم القطعاني: المرجع السابق، ص96.

[3] – الهادي المبروك الدالي: **مملكة مالي الإسلامي**، المرجع السابق، ص95.

[4] – محمد فاضل علي باري: المرجع السابق، ص99.

[5] – السعدي: المصدر السابق، ص21.

[6] – شوقي عطا الله الجمل:" **تمبكت و علاقتها بالمغرب قبل حملة المنصور السعدي و تحت الحكم المغرب**"، ندوة دولية، المغرب و إفريقيا جنوب الصحراء في بدايات العصر الحديث، مراكش، 23-25 أكتوبر 1992، ص43.

[7] – السعدي، نفس المصدر، ص22.

فقد كان في تمبكتو العديد من الآبار و أن الأراضي الفلاحية بها فإنها خصبة و تنتج كميات وافرة من القمح والذرة و الشعير. و كان الفلاحين يملكون الكثير من الأنعام، و لا تنقص المواطنين الألبان و الزبدة. لكن الملح عندهم قليل في الأسواق و كان يتحتم إستراده من مقالع تغزة " التي تبعدوا مائة و سبعين فرسخا".[1]

ففي بادئ الأمر كان تجار الشمال الإفريقي يتوافدون على مدينة " ولاتة " التي كانت في تلك الفترة مركزا تجاريا مرموقا قبل ظهور تمبكتو حيث تقاطر عليها جل تجار صنهاجة.[2] كما توافد عليها تجار من فزان و غدامس و طرابلس، يحملون بضائعهم إلى تمبكتو و يتقايضونها بالذهب و الرقيق و ناب الفيل و ريش النعام و بخور السودان و الصمغ.[3]

كما توافد عليها تجار من درعة يحملون إليها بضائعهم و يعودون ببضائع تمبكتو بالإضافة إلى توافد إلى المدينة تجار توات التي يرجع تأسيسها إلى رجال من مال، و تعتبر نقطة تمرين لقوافل القادمة من الشمال الإفريقي و الخارجة منها.

أما من المغرب الأقصى فكان تجار سجلماسة و فاس و سوس يحملون بضائعهم إلى تمبكتو و في مقابل أن يعودون محملين سلعها، كما وفد إلى مدينة تمبكتو تجار من مناطق السودان الغربي المجاورين لها من (جني) و (جاو)[4]. حيث أنها كانت مركز للتبادل التجاري التجاري و منطقة تخزين رئيسية لمختلف أنواع البضائع و كان التجار يستخدمون الإبل في نقل أو استجلاب التجارة من الشمال، بينما يستخدمون القوارب لنقلها أو جلبها بإتجاه أرض الجنوب عبر نهر النيجر.[5]

---

[1] – مارمول كربخال: **إفريقيا**، تر: أحمد التوفيق، دار النشر للمعرفة، الرباط، 1988–1989، ج3، ص202.

[2] – الهادي المبروك الدالي: **مملكة مالي الإسلامية**، ص96.

[3] – محمد فاضل علي باري: المرجع السابق، ص100.

[4] – الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص96–97.

[5] – فادية عبد العزيز، إبراهيم القطعاني: المرجع السابق، ص96.

و قد كان المغاربة هم أهم عملائها التجاريين و شهدت العلاقات نشاطا ملحوظا خاصة بعدما أرسل منسى موسى وفدا إلى السلطان ابن الحسن المريني يهنئه بانتصاره على بني زيان، وقد تبودلت الهدايا القيمة بين الطرفين بهذه المناسبة.[1]

و قد اعتمد السكان كذلك على بعض الحرف من التجارة و الحدادة و الخرازة و الدباغة و غيرها و في هذا المجال عرفوا بأنهم أهل مهارة و إتقان لتلك الحرف خاصة الذهب و الفضة[2]، حيث كان الذهب محور هذه التجارة و الملح لما يمثلان من قيمة عظيمة لدى سكان السودان الغرب، وكان الملح يأتي من " تغارة " حيث كان يوجد الملح بشكل ألواح ضخمة متراكبة كأنها نحتت و وضعت تحت الأرض، ولشدة ضخامتها لم يكن الجمل يحمل إلا لوحتين و كانت البيوت و المساجد تبنى بهذه الألواح.[3] بالإضافة إلى إنتاج الحديد، و قد كان طوائف الصناع منظمين فكان لكل طائفة ورشة عمل و رئيس يمول و يسوق[4]،و قد زخرت تمبكتو بكثير من للتجارة و الصناع و أهم تجارتهم الثياب القطنية التي يستبدلونها بالثياب المصنوعة في أوروبا يأتي بها التجار من بلاد البربر، و هؤلاء التجار و أصحاب الحرف كلهم أغنياء و لا سيما منهم الغرباء الدين ستوطنون البلاد حتى أن السلطان يزوج بعضهم ببات البد و قد كانت تخرج النساء هناك ملثمات للأحياء يبعن المواد الغذائية و هذا دليل علة وجود الاكتفاء في المدينة.[5]

و قامت في تمبكتو صناعات عديدة من بينها صناعات الأقمشة القطنية و الصوفية و الكتانية، بالإضافة إلى صناعة الزيوت، و صناعة حيوانية مستفدين من لبان الحيوانات و جلودها، كما قامت صناعات على العاج و سن الفيل و ريش النعام و كان للوراقين أيضا دور في النشاط الاقتصادي للمنطقة.[6]

---

[1] – شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص41.

[2] – الهادي المبروك الدالي: **مملكة مالي الإسلامية**، ص95.

[3] – ابن بطوطة أبو عبد الله محمد: **رحلة ابن بطوطة**، تحقيق علي المنتصر الكتاني، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1975، ج2، ص773.

[4] – عبد العزيز كحلوت: **التنصير و الإستعمار في إفريقيا السوداء**، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط2، طرابلس، 1992، ص111.

[5] – مارمول كلخان: المصدر السابق، ص202.

[6] – شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص43.

كان لمدينة تمبكت ميناء بحري يقوم على خدمة التجارة البحرية و يسمى هذا الميناء بـ " كابرا" حيث يقع على بعد حوالي إثني عشر ميلا جنوبي تمبكت و السكان المقيمون بهذا الميناء يعملون في الإشراف على قوارب البضائع و المراكب الكبيرة التي تأتي محملة من جني لتفرغ حمولتها في هذا الميناء.[1]

و قد كانت المدينة تعج بالباعة المتجولين وهم يبيعون السمك أو الخضر أو الحلويات للأطفال و قد يأتي بعضهم في الصباح الباكر بأبقاره و غنمه لبيع الحليب و ما تجمع له من الزبدة و اللبن المجفف المدعو " كاسي" و أن أصحاب المخزن يتبعون أولئك الباعة بين أزقة الأحياء لتحصيل الضرائب المستحقة عليهم.[2]

أما بالنسبة الأسواق مدينة تمبكتو فقد كانت ماضيها الزاهر مقارنة بهذا الحاضر من أرقى و أروع الأسواق التجارية و أهمها و في تلك الفترة سوق يا جندي و هي سوق كبيرة تقع في وسط المدينة، بالإضافة إلى سوق يوبو كينى و هي سوق متوسطة تقع في غرب حي سنكوري، سوق الحي الشعبي كابا و غيرها [3].و قد غلب على أسواق تمبكتو الطابع الإسلامي مع بعض الخصوصيات التي أعطتها طابعا متميزا، و أن أمكنة البيع فهي عبارة عن مكاتب صغيرة تعرض في بعضها العينات، و يرتادها الزبائن و السماسرة، و لكن تسليم البضاعة يقع في أمكنة الخزن الخاصة بكل تاجر، و هي بنايات واسعة تتوسط كل منها ساحة تجرى فيها عملية الكيل و الوزن. [4]حيث ازدهر سوق تمبكتو حتى طفى على المدينة و اشتهرت به في أول وهلة و قد قال حسن الوزان" : و في وسط المدينة مسجد و قصر كبير يسكنه الملك و دكاكين كثيرة للصناع و التجار ولا سيما دكاكين نساجي أقمشة القطن".[5]

---

[1] – أحمد مهدي رزق الله: **حركة التجارة و الإسلام و التعليم الإسلامي في غربي إفريقيا قبل الإستعمار و آثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية**، ط1، الرياض، 1998، ص304.

[2] – الغربي: المصدر السابق، ص576.

[3] – سليماني يوسف: المرجع السابق، ص156.

[4] – الغربي: نفس المصدر، ص 577

[5] –حسن الوزان: المصدر السابق، ص165.

و قد يشير السعدي إلى التجارة في تمبكتو فيقول:" و هي سوق عظيم من أسواق المسلمين، و فيها يلتقي أرباب الملح من معدن تغازا و أرباب الذهب من معدن بيط، و كلا المعدنيين المباركين ما كان مثلهما في الدنيا كلها، فوجد الناس بركتها في التجارة إليها كثيرا و جمعوا فيها من الأموال ما لا يحصيه إلا الله سبحانه و تعالى".[1]

و قد كان في المدينة أحياء خاصة للتجار العرب الذين يقيمون في دور بنوه فوق مستودعات البضائع، و كان أغلب تجار العرب من الجزيرة و اليمن و مصر و شمال إفريقيا، وكان أبنائهم يدرسون في مساجد تمبكت.[2]

كانت أسواق تمبكت عامرة بالبضائع الواردة من المغرب و المشرق و أوروبا، ولم تكن الحوانيت تقام اعتباطا، بل هناك أماكن خاصة لكل فئة من البائعين، وهذا دليل على ما وصلت إليه تمبكت من تنظيم.[3]

لقد أشار الرحالة ديبوا الذي زار تمبكت إلى وجود نظام مصرفي متقدم، وشيوع استخدام "خطابات الضمان" التي يستخرجها كبار التجار و يتعاملون بموجبها مع تجار المغرب و غيرها و هي تشبه الشبكات المصرفية [4]، كذلك وجدت عقود البيع و الشراء و كانت تبدأ بالبسملة و أن الأرباح التجارية كانت تراعي فيها لنسبة الشرعية في الربح. أما العملة المستخدمة فقد كانت عملية المقايضة هي السائدة لكن استخدام الذهب الخاص مخصص للمعاملات الكبيرة كما استخدمت قطع النحاس و قضبان الحديد و الودع في المعاملات العادية، و كانت للقطع المعدنية المستخدمة أوزان خاصة، أما الودع فقد كان يعد و قد كانت منه أنواع متميزة.[5]

و هكذا بدأت تمبكتو تأخذ مكانتها كمدينة تجارية بالدرجة الأولى قبل أن تصبح في وقت لاحق منارة علمية و دينية، وقد قدر المدينة تمبكتو أن تكون أمر المراكز الإسلامية

---

[1] – السعدي: المصدر السابق، ص22.

[2] – نعيم قداح: **إفريقيا الغربية في ظل الإسلام**/ مراجعة: عمر الحكيم، مديرية التأليف و الترجمة، نيويورك، د.ت، ص 126.

[3] – شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص42.

[4] – فليكس ديبوا: المرجع السابق، ص 202.

[5] – شوقي عطا الله الجمل: نفس المرجع، ص42.

في قلب القارة الإفريقية،[1] و هكذا شهدت تمبكتو تجارة واسعة و امتدت من الشمال الإفريقي و السودان الغربي و الشرق العربي، و أهم هذه الطرق التجارية التي كانت تصل تمبكتو بتلك المدن هي:

- طريق من مصر عبر كانو فتمبكتو.
- طريق تونس إلى تمبكتو.
- طريق من المغرب الأقصى مرورا بسجلماسة وتوات إلى تمبكتو.
- طريق من تغازة مرورا بمدينة ولاتة و منها إلى تمبكتو.
- طريق من طرابلس الغرب منها إلى غدامس و من ثم إلى تمبكتو.

فكل هذه الطرق تمتعت بشروط عالية للسفر و نقل البضائع و أم هذه الشروط وجود الماء و مرورها بمناطق أمنة و مستقرة.[2]

2/ الحياة الاجتماعية.

إن مدينة تمبكتو تحتل موقعا إستراتيجيا هام، قد مكنها موقعها المتميز إذ تصبح مقعد العديد من الأجناس، أكد عبد الرحمن السعدي أن المدينة سكانها الأخير من العلماء و صالحين وذوي الموال من كل قبيلة و من كل بلاد من أهل مصر و فاس [3]، وكذلك قبائل صنهاجة بأجناسها إضافة ذلك سكانها علماء قبائل جدالة العربية [4]، و علماء كونتا و هناك سكان محليون قدموا من مختلف مناطق السودان الغربي، حيث أقاموا موقع لسكنهم فيها بهدف الاستقرار الدائم.[5]

و كان أبناء المشايخ يأتون إلى تمبكت لتحصيل العلم و حدثت المصاهرة بين السودانيين و العرب و البربر المقيمين عندهم لاسيما الأغنياء منهم فقد قام أحد ملوك مالي

---

[1] – فادية عبد العزيز، إبراهيم القطعاني: المرجع السابق، ص 97

[2] – محمد فاضل علي باري: المرجع السابق، ص100.

[3] – عبد الرحمن السعدي: المصدر السابق، ص 21.

[4] – نفسه، ص21.

[5] – علي محمد عبد اللطيف: **تمبكتو أسطورة التاريخ**، دار الكتب الوطنية، ط1، 2001، ص86.

بتزويج ابنتيه من أخوين من المغرب، كما أن زعيم اللمتونيين أبا بكر بن عمر فاتح بلاد السودان قد زوج إحدى بناته لأحد ملوك مالي أيضا[1].

يذكر المؤرخ فليكس ديبوا في كتابه تمبكتو العجيبة الذي زار المدينة " أن حي بكامله داخل المدينة كان يترأسه التجار القادمون من طرابلس كما حي بكامله بالمدينة كان معروفا باسم الغدامسة نسبة إلى مدينة غدامس [2]، يعد ذلك الحي أرقى أحياء المدينة و أجملها و نتيجة لذلك فقد اختارته العساكر المراكشية عندما احتلت تمبكت لبناء القلعة سنرى [3] و هناك أيضا مجموعة من البرانيش الذين يقيمون بالمدينة هؤلاء سكنوا تمبكت خلال منتصف القرن 10هـ/16م[4]، إذ انتقلنا في الحديث عن صفات و عادات أهالي تمبكت نقول أن أهل تمبكت طبعا مرحا و من عاداتهم التعريض في المدينة أثناء الليل بين الساعة الثانية و العشرون و الواحدة صباحا و هم يعزفون على ألالآت الموسيقية و يرقصون.[5]

و يعمل في خدمة سكان المدينة الكثير من الرقيق بين الرجال و النساء و يحبون الخروج بعد الظهر رغم حرارة الجو فبعضهم يتنزهون على أحصنتهم في الشوارع أما العلماء فيرتكزون على عصيهم و يشكلون مجموعات صغيرة[6]، و لا يخفي ما في أهلها من السماحة السماحة و حسن السياسة و الرياقة لا غاظه فيهم و لا فظاظة لا ينكرون عادة غريب و لا ينقصون أجنبيا و لا غريبا.

---

[1] – حسن الوزان: المصدر السابق، 545.

[2] – فليكس ديبوا: المصدر السابق، ص 117.

[3] – محمد الفتوري: **الجاليات العربية المبكرة في السودان دراسة أولية وبعض الملاحظات، مجلة البحوث التاريخية**، 1981، العدد2، ص250.

[4] – حسن الوزان: المصدر السابق، ص 536.

[5] – نفسه، ص542.

[6] – Sékéné (M.C), « la vacation culturelle de Tombotou à l'unité du monde African », i n revue le culture Africante, 21 juillet– 1 out 1969, p172.

أما لباسهم فهي ألبسة نظيفة[1] و معظمهم يلبسون ثيابا ملونة بالونين الأبيض و الأزرق و لربما كان بعضهما من لمنسوجات المحلية و كانت الشوارع مزدحمة بالمارة، أما النساء فغالبا ما يرتدون الثوب الأبيض " بونوس" و كانت الزينة تتخذ من النحاس و الفضة في أرجلهم أما النسوة الثريات فلهن بعض المجوهرات من الذهب كأقراط الأذنين [2]، بينما تتبسط نساء رجال الدين في ملابسهن غالبا يتخذ من الحجاب أو الخمار [3] أما الأحذية الشكل العام للحذاء العربي أما الأثرياء فيلبسون الأحذية الكبيرة الحمراء.

مدينة تمبكت في القرن 10هـ/ 16م هي شهادة لحياة التحضر فالمدينة كانت جد حيوية فهناك إثنان من الحفلات الكبيرة في السنة العيد الكبير المسمى عندهم" تابا سكي" (Tabaskie) و هو حفل إسلامي في مصب نهر النيجر و بالخصوص تنبكت و كذلك تخلد المولد النبوي الشريف، أما بالنسبة إلى عد السكان في تمبكتو فبلغ العدد 25000 نسمة خلال القرن 10هـ/16م كما قدر الباحث سينكي هودي سوكو عدد السكان المدينة في ذروة مجدها بحوالي 80.000 نسمة.[4]

---

[1]– Caillié René, Journal d'un Voyage a Tamboctou et à jenné dans l'Afrique centrales, tome2, édition anthraops, paris, p319.

[2] – Caillié®, Ibid, p331.

[3] – محمد الفتوري: المرجع السابق، ص261.

[4] – Sékéné (mc), op cit, p222.

الفصل الثاني:

البيوتات العلمية في تمبكتو و عوامل ظهورها

المبحث الأول : الظروف والعوامل المساعدة في ظهور البيوتات العلمية

أولا : الازدهار التجاري

ثانيا:انتشار العلماء

ثالثا:دور الحكام في انتشار و تطور الثقافة

رابعا: المراكز العلمية

المبحث الثاني: اهم البيوتات العلمية في حاضرة تمبكتو

أولا : بيت عائلة أقيت

ثانيا: بيت عائلة بغيغ

ثالثا: بيت عائلة اندغ

رابعا : بيت عائلة البلبالي

خامسا: بيت عائلة التوتي

المبحث الثالث : اثر البيوتات العلمية في ازدهار مدينة تمبكتو

أولا: الأثر للسياسي

ثانيا: الأثر الاقتصادي

ثالثا: الأثر الثقافي.

رابعا : الأثر الاجتماعي

كانت تومبوكتو قلب الحركة الفكرية الناشطة في منطقة السودان الغربي، وقد تشكلت بيوتات علمية فيها، وكانت هناك أسباب عديدة لتشكلها وقد توافد العلماء إليها حيث وجدو تشجيعا من أهل تومبوكتو وملوكها الذين أغدقوا عليهم بسخاء، وكان لهؤلاء العلماء أثر كبير بالمنطقة .

الظروف و العوامل المساعدة في ظهور البيوتات العلمية.

1- الازدهار التجاري.

على الرغم من كون مدينة تمبكتو مدينة ثقافية علمية عظيمة في المنطقة إلا أن سبب عظمتها بالدرجة الأولى يكمن في كونها مدينة تجارية مرموقة [1] رائعة الصيت، فقد صاحبت الحركة التجارية في ازدهار الحركة العلمية أيضا سواء فيما كانت تنقله هذه التجارة من كتب و مخطوطات أو لنقل رجال العلم و الطلبة معها.[2]

حيث كانت تمثل التجارة الشريان الرئيسي للحياة الاقتصادية في مدينة تمبكتو و قد أدت دورا هاما في ازدهارها اقتصاديا و حضاريا و يتوافد عليها من كل حدب و صوب.

كما كان للتجار عبر الصحراء دور هام في نمو مدينة تمبكتو حيث وصلت ذروتها في القرن العشر هجري(16 ميلادي) الذي عرف بالعصر الذهبي فقد حصلت في هذا العصر على نصب وافر من الرخاء الاقتصادي و العلمي [3]،و كما كانت المدينة عظيمة الشأن و فيها الكثير من الدكاكين المملؤة بالمنسوجات و كتب [4] و كانت تجارة الكتب و المخطوطات هي أعلى أنواع البضائع التي كانت ترد إليها و أحبها إلى الناس [5]،حيث كانت الكتب و السلع الرائجة في تمبكتو و أبرزها تداولا حيث يجني منها التجار القائمون على بيعها و الرقون أرباحا طائلة تفوق أرباح مختلف المعروضات الأخرى في المدينة ذلك بسبب الإقبال الشديد من الأهالي المدينة على إقتنائها.[6]

---

[1] – سليماني يوسف: المرجع السابق، ص157.

[2] – نفسه، ص 156.

[3] – هادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص95-96.

[4] – عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي في عهد الأسقين**، ص102.

[5] – محمد ألفا جالو: المرجع السابق، ص89.

[6] –حسن الوزان: المصدر السابق، ص166.

حيث كانت تستورد الكتب من المغرب و مصر و هي أغلى بضائعها في ذلك العهد و هذا مما يدل على المستوى الثقافي التي أصبحت عليه المدينة آنذاك [1] و هذا الأمر الذي يوضح لنا بجلاء مدى مكانة العلم و الثقافة و ما يحضاه من قبول و احترام مما جعل الكتب و المخطوطات أهم السلع قيمة و غلاء و من أكثرها رواجا في المدينة.[2]

ثانيا: انتشار العلماء.

يعود ازدهار تمبكت الثقافي و العلمي إلى هجرة الكثير من العلماء إليها خصوصا بعد خراب مدينة ولاتة من طرف قبائل الصوصو، و خصوصا بتكريم العلماء و الصلحاء القادمين إليها، وقد سجل هذا الازدهار الرحالة حسن الوزان بقوله: " و في تمبكتو عدد كثير من القضاة و الفقهاء و الأئمة يدفع الملك إليهم جميعا مرتبا حسنا، و يعظم الأدباء كثيرا و تبارع أيضا مخطوطات كثيرة من بلاد البربر و تدر أرباحا تفوق أرباح سائر البضائع".[3]

حيث سكن فيها الكثير من العلماء و الفقهاء حيث يذكر السعدي في كتابه: " فهي مأوى العلماء و العابدين و مألف الأولياء و الزاهدين".[4]

العلماء و الفقهاء: كلمة العلماء مفردها عالم و يقصد به لغويا هو الذي يعمل بما يعلم و هي مشتقة من كلمة العلم و هو نقيض من الجهل، أما كلمة الفقهاء فهي مشتقة من الفقه و يعني لغويا العلم بالشيء و الفهم له و العلم بمعنى علم الدين بسيادته و شرفه وفضله على سائر أنواع العلوم و جعله العرف الخاص بعلم الشريعة [5] قال تعالى " ليتفقهوا في الدين الدين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون"[6] أي ليكونوا علماء فيه.

لقد كانت صلة وثيقة بين المراكز التجارية و المراكز العلمية في تنبكت فقد كان العلماء دائما في أثر التجارة، فحيثما أقاموا مركزا تجاريا سرعان ما يزدهر هذا المركز من

---

[1] – عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص102.

[2] – سليماني يوسف: المرجع السابق، ص 157.

[3] – حسن الوزان: المصدر السابق، ص167.

[4] – السعدي: المصدر السابق، ص 21.

[5] – ابن المنظور: المصدر السابق، ص3083-3450.

[6] – القرآن الكريم: سورة التوبة، الآية 122.

الناحية الثقافية [1] ، فقد كانت تنبكت مجمعة العلماء من كل حدب و صوب حيث يورد السعدي بابا طويلا من العلماء و الصالحين الذين سكنوا تنبكتو.و خدموا العلم و المعارف حيث وجد العلماء و أهل الفكر تشجيعا من أهل تنبكتو و ملوكها الذين أغدقوا عليهم بسخاء مما أدى إلى ظهور حركة علمية و أدبية واسعة النطاق لم يعرف السودان الغربي لها مثيلا.

و لم تكن الصحراء الكبرى حاجزا لتدفق مظاهر الحضارة و المؤثرات الثقافية و الفكرية من شمال القارة الإفريقية إلى السودان الغربي و هذا ساعد كثيرا على الازدهار الثقافي لمدينة تمبكتو خلال القرن 16م.[2]

لقد أنجبت تمبكت عددا كبيرا من العلماء و قد برزت أعمالهم و مؤلفاتهم وذاع صيتهم سواء في السودان الغربي أو غيرها من الأقطار العربي، وقد قيل أن الأسكى محمد لا يقوم لأحد من القوم إذا قدموا عليه و لا يأكل مع أحد إلا العلماء و القضاة [3]، و قد أصبحت لتمبكتو نفس المكانة التي كانت للقيروان و فاس بفضل هؤلاء العلماء، و كانت مدينة يقصدها التجار و سرعان ما اقتنى أثرهم العلماء الذين قصدوها من بلاد المغرب و بلاد الأندلس و تحلق حولهم طلاب العلم من بلاد الفوتاتور و منطقة حوض النيجر و الهاوسا و الكانم و البرنو.[4]

اتصف علماء تمبكت بالتواضع و البعد عن الضمائر و حرصوا على الحفظ و الاجتهاد و الإصلاح و الجري وراء الحقيقة، و نشر الدين الإسلامي و العقيدة الصحيحة و كان ملوك يستشيرونهم في مهام الأمور، و إذا مرض أحدهم زاروه في مسكنه.[5]

و من أكبر صلاح تمبكتو العكوف على تلاوة القرآن و كثرة الأذكار فهذا دليل على تمسك العلماء بالدين الإسلامي، فإذا جاءتهم مصيبة أو وباء أو طاعون أ عظائم البلاد أو الجيوش فيقرءون جماعة أو فردى بعد المغرب و بعد الصبح البسملة ألف مرة، الصلاة على النبي عليه الصلاة ألف مرة، الاستغفار ألفا و بالطيف ألفا، و الحسبلة ألفا أس حسبنا الله

---

[1] – أحمد المهدي رزق الله: المرجع السابق، ص305.

[2] – محمد فاضل علي باري: المرجع السابق، ص101.

[3] – محمود كعت: المصدر السابق، ص 11.

[4] – نعمة عبد السلام الحسين: المرجع السابق، ص206.

[5] – شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص48.

و نعم الوكيل، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ألفا، و الحوقلة أي لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم ألفا، هكذا يستمرون عليه إلى أن يروا الفرج، و كانوا يكثرون من الصدقة خلال هذه الفترة كلها، فلا شك أن تأثير الصدقة في وقع البلاد و المصائب مما لا يخفى. و قد وردت أمثلة في كتب الأحاديث و جربها العامة لكن الكل بحسن لنية و التوكل على الله ، إنه على كل شيء قدير فبيده الداء و الدواء، يفعل في ملكه ما يشاء نسأله العفو و العافية للجميع أمين. و قد كانو يقرءون كذلك صحيح البخاري كله بنية دفع المصيبة كما يفعلون للقرآن أيضا.[1]

لقد كانت مكانة العلماء الاجتماعية في تمبكت تلي طبقة الملوك و الأمراء من حيث النفوذ السياسي، و كان نفوذ العلماء يتوقف على مدى قوة و تمكن الإسلام من نفوس الملوك و سياستهم الإسلامية، فقد كانوا يحظون باحترام العمة و الخاصة لا سيما السلطان [2]،و كان يقوم هذا الأخير بحمايتهم و الدليل علة هذا ففي عهد السلطان سني علي، و عندما هدد مدينة تمبكت بالدمار، قام الحاكم الطوارقي بترحيل العلماء إلى ولاتا على ظهور الجمال و بذلك أنقض جزءا كبيرا منهم.[3]

و قد كانت وظائف العلماء متعددة منها القضاء فإن من أكبر المناصب الإدارية التي يتولاها العالم هي وظيفة " القاضي" و هي ملازمة لقيام دولة المؤسسات الإسلامية، بل كانت أثرا مباشر للإسلام، فالقضاء ظهر بظهور الإسلام في غربي إفريقيا.[4]

بالإضافة إلى وظيفة " الإمامة" و هي التي تأتي في المرتبة الثانية بعدا القضاء و مهمة الإمام هي إمامة المصلين في الصلاة بالمسجد، و في صلاة الجمعة خاصة. وعندما يترقى الإمام يتولى منصب القاضي. و كانت هذه الوظائف شبه وراثية في بعض الأسر التي اشتهرت بالعلن، أما الوظيفة الثالثة فهي " متولي الشرع" فلم يذكر هذا اللقب كثيرا حتى يمكن إعطاء صورة كاملة عنه، و لم يعرف ما إذا كان الذي يتولى هذا المنصب

---

[1] – محمود محمد ددب التنبكتي: المصدر السابق، ص 45.

[2] – محمود كعت: المصدر السابق، ص56.

[3] – السعدي: المصدر السابق، ص65.

[4]– مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص521.

هو القاضي أو الإمام أو موظف مختص يعمل تحت إمرة القاضي. و توجد وظيفة " الكاتب" فهي تشبه وظيفة كاتب ديوان التي كان لها أصولها و قواعدها لا سيما في العصر العباسي الأول عندما اقترنت باسم عبد الحميد الكاتب، فإنها وظيفة انحصرت في حمل قرارات السلطان في أقاليم دولته المختلفة.و الوظيفة الأخيرة هي " شاهد القاضي" فهي وظيفة ذات صلة بالقاضي كما هو واضح من تسميتها، و شهود القاضي هم العلماء الذين يوقعون مع القاضي على الوثائق المهمة كوثائق الصلح الذي يعقد بين الجماعات السياسية المتخاصمة، و هم يشبهون إلى حد كبير أعضاء محاكم اليوم، عضو اليمين و الشمال.[1]

لقد إهتم علماء تنبكت بدراسة عدة علوم برزو فيها، نجد في مقدمتها علوم القرآن الكريم و الفقه و الحديث و التفسير و التاريخ و السير و التراجم و الرحلات و المنطق و النحو و العلوم الفلسفية و الرياضيات و الهندسة و الفلك و الأدب و تحسين الخطوط وفنونها و الطب و الهندسة المعمارية.[2]و قد درست عدة مصادر و مراجع في هذه المجالات منها كتاب الموطأ، الألفية لابن مالك، صحيح البخاري، صحيح مسلم، و النسائي و الترمذي، الجذرية في العروض و مختصر الخليل و أبو القاسم و كتب الميفيلي و الونشريسي و تحفة الحكام و العباد و الخزرجية. لكن لم يكتفي علماء تنبكت باستيعاب ما في هذه المؤلفات لكنهم إهتموا بشرحها و مناقشتها و تحليلها.

وقد ساد المذهب المالكي في تنبكت و غيرها من عواصم غرب إفريقيا، وقد التزم علماء تنبكت بتعاليم المذهب المالكي و أصبح دور العلم في تنبكت حريصا على الالتزام بتعاليم المالكية.[3] و هكذا ظلت تمبكتو في تطورها الحضاري عبر القرون تمارس دورها التعليمي و الثقافي، بفضل مساهمة الكثير من العلماء و أهل الفقه و اللغة و الشريعة الإسلامية حيث تشكلت بيوتات علمية بالمنطقة، مما مكنها من أن تساهم في إرساء قواعد المعارف الدينية و الثقافية العربية الإسلامية.[4]

---

[1] – نفسه، ص 527-528.

[2] – الغربي: المرجع السابق، ص516.

[3] – شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص49.

[4] – جعفر عبد السلام: المرجع السابق، ص 101.

ثالثا: دور الحكام في انتشار و تطور الثقافة " منسي موسى" و الأسقيا محمد الكبير.

إن علاقة تمبكتو بالعلم و العلماء قديمة في الزمن، تعود لعهد منسى موسى فقد تولى 1308م عرش إمبراطورية مالي، و من أشهر أسماءه نجد " مانسا كانكان نوسى" و " موسى الأسود" كان رجلا تقيا، ورعا، و طيب العشرة، وسخيا، و كان رجل بالغ الحساسية.[1]

لقد أنصب املك منسى موسى جل اهتمامه على تمبكتو و قد جلب لها صفوة من العلماء و الفقهاء من الأماكن المختلفة للتدريس بيها، و أن السلطان منسى موسى امتنع عن تقبيل الأرض و من أقواله للدليل على هذا:" أنا مالكي المذهب لا أسجد لغير الله" [2].و أنه كان يتقن اللغة العربية و دليل هذا يظهر في مراسلاته إلى السلطان مصر المملوكي الناصر محمد بن القلاوون كانت تكتب باللغة العربية.[3]

لقد حج الملك موسى عام 1324م[4]و أن قبل رحلته لم يتعجل الأمور في حجه قبل الذهاب و إنما أخذ ما يكفيه من الوقت للإعداد و الترتيب لرحلته الحجية [5]. و قد سلك في طريقه من بلاد المغرب على طريق الصحراء، و خرج بمصر [6]و أن إقامته بمصر دامت خمسة أشهر.[7]

---

[1] – العمري ابن فضل الله شهاب الدين أحمد يحي: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق حمزة أحمد العباس، المجتمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 2002،ص 80.

[2] – تقي الدين المقريزي: **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الظف و الملوك**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد ، مصر، ص 2000، ص 112.

[3] – نور الدين شعباني: **علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي و أثارها الحضارية بين القرنيين 4-9هـ/ 10-15م**، أطروحة لنيل شهادة ماجيستر في التاريخ، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 178.

[4] – الغربي: المرجع السابق: ص48.

[5] – شهاب الدين العمري: المرجع السابق، ص 69.

[6] – ابن خلدون: **ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، مراجعة سهيل زكار، د.ط، دار الفكر للطباعة، ج5، د.م، 1332-1406هـ، ص 496.

[7] – أحمد الشكري: **الإسلام و المجتمع السوداني إمبراطورية مالي**، ط1، المجتمع الثقافي، أبو ظبي، 1999، ص 245.

لقد انتهز منسى موسى فترة وجوده بمصر و قد اشترى عددا من الكتب الدينية ليوفرها للأهل مملكته، و قد رحل منها بعديد من علماء مصر إلى تمبكت، و بعد أن استراح الركب

و استجمع قوتها تهيأ للخروج، و وصل إلى مكة و أدى مناسك الحج، و تصدق بمال كبير هنا، كما تصادف في مكة بالعالم المشهور أبا إسحاق إبراهيم الساحلي المعروف " بالطويجن" ، فقد توثقت علاقاتهما إلى درجة جعلت أبا إسحاق بهجرة بلدة غرناطة و يعود مع السلطان و توطن تمبكت و قام بأعمال بها مثل بناء المساجد و القصور.[1]

لقد طلب منسى موسى من شيخ مكة أن يعطيه من أهل البيت الرسول عليه أفضل الصلاة و السلام شريفين أو ثلاثة أو أربعة يذهب معه إلى بلده ليتبرك أهل الناحية برؤيتهم و بركة أثر أقدامهم في بلدهم [2] و قد كان منسى موسى دور في نشر الإسلام كما حرص على تطبيق شعائر الدين.[3]

و قد أحضر لمدينة تمبكتو نوادر من الكتب من مصر و الحجاز، ومن الأقطار التي مر بها و من ثم أنفق جزءا من أموال مملكته على شراء الكتب، و أتى بمجموعة من العلماء و الفقهاء، كما جلب أيضا معه عدد كبير من الكتب على المذهب الإمام مالك [4]، و أنه قد ضم تمبكتو إلى مملكته بعد عودته من الحج عام 726هـ/1326م و قام ببناء مسجد و قصر و تجسدت هناك ثروة عمرانية من خلال التأسيس للعمارة السودانية عن طريق المساجد الموجودة و بناء القصور.[5]

---

[1] – أحمد الشكري: المرجع السابق، ص150-151.

[2] – محمود كعت: المصدر السابق، ص37.

[3] – Kati mahmoud : Tarikh el fettach Traduction: O.Haudas et M.delafos, editions, ernest leroux éditeur, paris, 1913, p55.

[4] – – نور الدين شعباني: **دراسات في تاريخ الإسلام و الأسر الحاكمة في إفريقيا جنوب الصحراء**، دار نور للنشر، د.ب، د.س، ص 40.

[5] – نور الدين شعباني: " **الفن و العمارة في مملكة مالي الإسلامية**"، **مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية**، العدد4، ص 253.

و نرى أيضا في أيام منسى موسى استقر العلم و الأدب في تمبكتو و كثرة العلم بالمنطقة و وجوج المعلمين و العلماء من بلاد كثيرة و إجتمعوا في جامع سنوكري[1]، فهو مهد للعلم و الثقافة العربية الإسلامية بالمنطقة.

لقد ظهرت صورة منسى موسى في أغلب الخرائط التي صدرت في ذلك القرن، حيث ظهرت فيها صورة منسى موسى جالسا و تظهر فيها مدينة تمبكتو تحت اسم " تيمبوشت" وهذا لأن منسى موسى استطاع أن يحرز نجاحا كبيرا خاصة في الجانب الثقافي و العلمي و لمدينة تمبكتو.[2]

ومن العوامل التي ساعدت أيضا على استمرار الحياة العلمية في فترة البحث و اتساع نطاقها و تشجيع حكام سنغاي للحركة العلمية، حيث بلغ الازدهار الحضاري أقصاه في بلاد السودان الغربي عامة و في تمبكت خاصة في عهد دولة سنغاي.[3]

فقد حرص ملوك السودان الغربي ومنهم ملوك سنغاي على الخروج في مواكب جامعة لأداء فريضة الحج، و كانت هذه الرحلات عاملا مهما لتلاقي ثقافي عظيم بين المسلمين عامة و غرب إفريقيا بصفة خاصة.فقد كان السلاطين يقومون بتشجيع البعثات العلمية لطلابهم على تلقي العلم في الحرمين الشريفين و مدارس القاهرة و جامعة الأزهر، حيث أقيمت لهم دار الضيافة في الأزهر منذ القرن الثالث عشر ميلادي، حيث كان حكام سنغاي لا يشجعون العلم في بلدهم فحسب بل كان فيهم علماء و مفكرين يتحدثون اللغة العربية و لهم اهتماما كبير بتبادل الثقافة مع جيرانهم.[4]

و من أبرز هؤلاء الحكام و الذي قام أيضا بتنشيط الحركة العلمية في تنبكت هو أسكيا لحاج محمد الكبير 1492م، يعتبر من أهم الحكام الذين عرفوا بتشجيع الحركة العلمية

---

[1] مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص217.

[2] – Henri barth : voyage en afrique septentrionale et centrele pendante les annee 1849 a : tradiction de l’ahmand par paul Ithier, edité, par : A bohne , librairie, paris,p15.

[3] – السعدي: المصدر السابق، ص21.

[4] – محمد ألفا جالو: المرجع السابق، ص61.

هناك، و له من المناقب و حسن السياسة و الرفق بالرعية و التلطف بالمساكين ما لا يحمي و لا يوجد له مثيل، و كان من عقلاء الناس و دهاتهم.[1]

ومن صفاته أنه كان يستعين بإرشادات كبار العلماء مثل الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي و الإمام عبد الرحمن السيوطي، و يكفيه أثناء إجماع علماء تمبكتو، و كان محبا للدين و العلم.[2]

و من أعماله أنه جعل للقضاة مكانا خاصا في مجلسه و كان لا يقوم لأحد إلا للعالم و الحاج و لا يأكل معه إلا العلماء و الأشراف و أولادهم.[3]

و قد كان لهذا السلطان علاقات ثقافية في خارج بلاده لا تقل عما قام به في إصلاح الشؤون الداخلية من جانب الحركة العلمية و الثقافية، و قد اشتهر بحبه للعلم و العلماء، وقد استقدم الكثير من العلماء العرب و غيرهم و رحب بهم و أتاح لهم فرص الإقامة في تمبكت فقد كان وجود هؤلاء المثقفين العرب نواة لنهضة ثقافية هناك.[4]

و قد تعظم شأن تمبكت في عهد الأساقي و ازداد عدد سكانها و كثر العلماء بها، و نشطت الحركة العلمية أكثر، كما كثر بها التجار من البربر، فقد أشار الرحالة مارمول كربخال إلى وضعهم فذكر أن هؤلاء التجار هم من أصحاب الحرف كلهم أغنياء و لا سيما للغرباء الذين يستوطنون البلاد حتى أن السلطان يزوج بعضهم لبنات البلد.[5]

II- المراكز العلمية.

1- الكتاتيب.

كانت الكتاتيب الموجودة في تمبكتو مثل جميع الكتاتيب الموجودة ففي العالم الإسلامي، بحيث أنها لا تعد و أن تكون حجرة صغيرة مجاورة للمسجد أو بعيدة عنه أو غرفة في منزل شيخ أو فقيه مفروشة ببعض الحصير، و كانت مخصصة لصبيان لتعليم

---

[1] -محمود كعت: المصدر السابق، ص59.

[2] - محمد ألفا جالو: نفس المرجع، ص62.

[3] - محمود كعت: المصدر السابق، ص11.

[4] - محمد ألفا جالو: نفس المرجع، ص63.

[5] -مارمول كربخال: المرجع السابق، ج3، ص203.

المراحل الأولى من التعليم و حفظ القرآن الكريم كاملا و تكون مدة بقاء الطفل في الكتاتيب خمسة أعوام.[1]

و لقد اهتم حكام بلاد السودان الغربي في دولة مالي بحركة التعليم و شجعوا على تعليم القرآن الكريم، و ما يدل على أهمية هذا هو المكانة التي بلغتها تمبكتو كحاضرة علمية و مدى تطور حركة التعلم بها. [2] و قد أورد محمود لمعت هذه الرواية إذ قال و عنده من المتعلمين نحو خمسين و عند بعضهم سبعين إلى مائة و فيها مدارس و معلم و صبيان [3] كما ذكر السعدي هذا بدوره و تحدث في هذه الكتاتيب و سماها محضرا و قد ورد هذا اللفظ عند حديثه عن الفقيه أبا القاسم التواتي الذي سكن تنبكتو و كان أحد علمائها و أئمة مسجدها الكبير.[4]

كما حرص أهل السودان على تعليم أطفالهم و تحفيظهم القرآن الكريم إنطلاقا من هذه الكتاتيب، وهذا يتجلى من خلال ما أورده ابن بطوطة أثناء رحلته لمملكة مالي: " عنايتهم بحفظ القرآن الكريم، وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه".[5]

و لهذا انتشرت الكتاتيب التي منها يتدرج الطفل في التعليم و ينطلق ليتابع دراسته في باقي المراحل التعليمية، وكذلك إهتمام الحكام بالتعليم عموما و التعليم القرآن على وجه الخصوص، ولم يقتصر على الجانب التعليمي فقط بل تعداه إلى نشاطات اجتماعية أخرى.[6] أخرى.[6]

---

[1]– محمود كعت: المصدر السابق، ص180.

[2]– ابن الحوقل: **دراسة تاريخية في كتابة صورة الأرض طبعة الثانية**، 2001، ص2012.

[3] – محمود كعت: المصدر السابق، ص181.

[4] – السعدي: المصدر السابق، ص180.

[5] – ابن بطوطة: المصدر السابق، ص312.

[6] – محمود كعت: المصدر السابق، ص 130.

2- المساجد:

لقد ارتبط المسجد ارتباطا وثيقا و عضويا بظهور الإسلام و أول مسجد بني في الإسلام هو مسجد قباء، الذي يقال له مسجد التقوى لقوله تعالى " المسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه الرجال يحبون أن يتطهروا الله يحب المتطهرين".[1]

أ- المسجد الكبير بتنبكتو (ويعرف بمسجد جنجوربير).

و هو أكبر المساجد في تمبكتو و أقدمها و لا يعرف تاريخ بنائه على وجه التحديد و يرجع أنه بني في القرن السادس الهجري و أعيد بناءه في القرن الثامن للجهري في عهد السلطان منسى موسى ملك المالي [2] و لقد أعاد ترميمه في سنة (724هـ/1324م) و قد تم ذلك على يد السلطان الذي بنى صومعة المسجد أيضا، و لقد أعيد ترميمه في القرن السادس عشر ميلادي و من المرجع أن الذي قام بترميم المسجد هو المهندس و الشاعر الأندلسي أبو إسحاق إبراهيم الساحلي، و لقد خضع هذا المسجد إلى عدة إصلاحات خلال تاريخ الطويل من قبل ولاة و أمراء في تلك البلاد.[3]

و يحتوي المسجد من الداخل خمسة أروقة، و تمتد من الاتجاه الشمالي إلى جنوبي على ثمانية صفوف ممتدة و كذلك من الاتجاه الشرقي إلى الاتجاه الغربي، و للمسجد صحنان، صحن كبير متسع و صحن كبير متصل بالمئذنة و بالصحن عدة قبور عليها بعض النقوش و ذات زخارف مؤرخة و للمسجد خمسة أبوام مختلفة الأحجام [4] و قد تعاقب على إمامة المسجد العديد من الفقهاء ممن اتصفوا بالورع و الصلاح، و يقول السعدي" فأول من تولى إمامته الفقهاء السودانيون في دولة أهل مالي و في طائفة من دولة الطوارق و أخر الأئمة فيه الفقيه القاضي كاتب موسى مكث في الإمامة أربعين سنة...و عندما رحل

---

[1] – سوزي أباضة محمد حسن: **عائلة أقيت و إسهاماتها الثقافية في تمبكت، مجلة الدراسات الإفريقية**، العدد 26، 2004، القاهرة، ص233.

[2] – السعدي: المصدر السابق، ص56.

[3] – محمد فاضل علي باري: المرجع السابق، ص103.104.

[4] – فاطمة محمود مبروك: **العمالي الإسلامية في إمبراطورية السنغاي زمن الأسكين 898هـ-100هـ/ 1492-1591م)**، معهد البحوث و الدراسات إفريقية، جامعة القاهرة، 2008، ص 98-99

إلى فاس بأمر من منسى موسى خلفه في الإمامة سيدي عبد الله البالبالي بالناس في أواخر دولة الطوارق".[1]

ب- مسجد السنكري.

لا يعرف بالضبط تاريخ بناء هذا المسجد فيذكر أن الفقيه القاضي العاقب شرع في بناء مسجد سنكري عام 89هـ(1581-1582م) بعد عودته من الحج حيث أخذ هناك طول و عرض الكعبة بواسطة حبل و جاء به إلى تمبكتو و بنى المسجد على تلك المقاييس [2] و كما يذكر كذلك لأن بنته سيدة ثرية فاضلت من قبيلة الأغلال تسمى فاطمة بنت أحمد ألأغلالي و ذلك أيام دولة مالي سنة 726هـ/ 1325م[3]، و تم بناءه بالحجر و الجبس و قد ظل هذا المسجد من الآثار الدينية في تمبكتو مثله مثل الجامع الكبير، مسجد سيدي يحي التادلسي بل و فاقت شهرته الاثنين و أصبح جامعة إسلامية يقصدها طلاب العلم من جميع الجهات البلاد السودان و خارجها و قد ضاهى في مكانته العلمية الأزهر في القاهرة بمصر و جامع القيروان في المغرب الأقصى و قد أسندت الإمامة و التدريس فيه لعديد من الفقهاء ممن كان لهم الباع الطويل في العلم و الورع و التقوى، مثل أبو البركات الفقيه محمد بن عمر محمد أقيت الذي تولى الإمامة بإذن من القاضي حبيب[4] و بعد وفاته طلب من ابنه أن يتولى الإمامة فإعتذر بسبب مرضه فعين الإمام عبد الرحمن ابن الفقيه و بعد ذلك عين محمد بن محمد كري الذي بقى حتى وفاته.[5]

ج- مسجد سيدي يحى التادلسي.

يعتبر من أقدم المساجد في تنبكتو حيث شيد في عهد حكم الطوارق(ق 5هـ/ 11م) ليكون جامعا للصلوات الخمس و الجمعة، و عند إنقراض دولة الطوارق هدم المسجد و لم يبقى منه إلا بعض الأجزاء، ليقوم الشيخ " محمد نض" الطوارقي كان حاكم مدينة تنبكتو بعد أن عينه عليها السلطان الطوارق " أكيل" لما استعادوا حكم تنبكتو لمدة سنة قبل أن يستعيدها

---

[1] – السعدي : المصدر السابق، ص56.

[2] – محمود كعت: المصدر السابق، ص121-122.

[3] – السعدي: نفس المرجع، ص62.

[4] – البرتلي: المصدر السابق، ص107.

[5] – السعدي: نفس المرجع، ص62.

منهم حاكم سنغاي الملك " سني حلي" وأعاد بنائه و جعل شيخ سيدي يحيى التادلسي إماما و مدرس فيه إلى وفاته سنة 880هـ/ 1481م[1] و يعتبر هذا المسجد أصغر من سابقيه و يقع هذا المسجد في قلب تنبكتو، وقد تولى الإمامة و التدريس في هذا المسجد بعد سيدي يحي عدة فقهاء منهم الفقيه محمد بن محمود أبي بكر الوذكري المعروف ببغيغ و الذي استمر في إمامة و التدريس إلى أن توفى سنة 1002هـ/1593م.[2]

المبحث الثاني: أهم البيوتات العلمية في حاضرة تمبكتو.

لقد تدفق العلماء و الفقهاء إلى تمبكتو لتعليم و تثقيف المسلمين و تكوين الفقهاء فيها و ظهرت فيها مختلف العلوم، و هؤلاء قد أثروا على الحياة الثقافية هناك. و تكونت بيوتات علمية و من أهم هذه البيوتات نجد:

أولا: بيت عائلة أقيت.

و هي المشهورة باسمها آل أقيت، ينحدر أصول هذه العائلة من قبائل مسوفة إحدى بطون قبائل صنهاجة المنتشرة في الصحراء، و قد عرفوا بانتسابهم إلى العلم، و حظي أغلبهم بمكانة اجتماعية عالية بين سكان الإقليم و هذا لاشتغالهم بالقضاء و التعليم و اعتبارهم من أهل الفتيا و الشورى و الوجاهة.[3]

هذه الأسرة العلمية العريقة انحدر منها العلامة الشهير أحمد بابا التنبكتي و والده و أعمامه و أجداده أصحاب المؤلفات العلمية العديدة، و كان لهذه العائلة دور كبير في نشر الإسلام في السودان الغربي في عصر سلطنة سنغاي حيث كانت أسرة علم و دين كما أنها هي التي تتوارث القضاء في تمبكتو[4] و من أشهر علمائها نجد:

---

[1] – سوزي أباضة : المرجع السابق، ص151.

[2] – سوزي أباضة،: المرجع السابق، ص153.

[3] – أحمد بابا التنبكتي: **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، ج1وج2، طرابلس، 1989، ص 14.

[4] – مطير سعد غيث: المرجع السابق، ص 85.

1-1- عمر بن محمد أقيت.

عمر بن محمد أقيت بن على بن يحي الصنهاجي التنبكتي ولد جد أحمد بابا التنبكتي هو فقيها عالما صالحا. قرأ عليه الفقيه القاضي مؤدب محمد الكابري مؤلف بستان الفوائد [1] و قد عرف بالشمائل الطيبة و غزارة في العلم، و كان فقيها لغويا نحويا عروضيا و صالحا تقيا.[2]

كان له ثلاثة أولاد و قد اشتهروا بعلمهم و كان أكبر الأولاد هو الفقيه أحمد بن عمر و كان يلقب بالحاج أحمد، و " عبد الله" و كان أصغرهم هو " محمود"، وقد رحل بهم إلى ولاتة لما رحل إليها فقهاء سنكوري من أجل خوفهم من الظالم مسنى علي لما دخل تنبكت و عمل فيها فسادا عظيما.[3]

1-2- الفقيه أحمد بن عمر ين محمد أقيت.

و هو جد سيدي أحمد باب التنبكتي، يعرف بالحاج أحمد فهو أكبر الإخوة الثلاثة الذين اشتهر علما و دينا في قطرهم، من أهل الخير و الفضل و العلم و الدين، محافظا على السنة و المروءة و الصيانة و التحري، و كان محبا للنبي صلى الله عليه و سلم و كان ملازما لقراءة قصائده و مدحه.[4]

لقد اشتهر بأنه من المداومين على قراءة الشفا للقاضي عياض [5]، و كان معتنيا به فقهيا نحويا لغويا عروضيا محصلا، حافظا معتنيا بتحصيل العلم [6]، و قد أخذ العلم عن جده جده لأمه، و قد كان قاضي تنبكتو و على أهل ولاتن و أخذ النحو عن خاله الفقيه مختار.[7] مختار.[7]

---

[1] –الأرواني أحمد بابير: **السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، تح الهادي المبروك الدالي**، جمعية الدوعة الإسلامية، ط1، بنغازي، 2001، ص82.

[2] – أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي: **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تح محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، ص178.

[3] – الأرواني أحمد بابير: المصدر السابق، ص83.

[4] – البرتلي: المصدر السابق، ص27

[5] – عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص335.

[6] – مقاديم عبد الحميد: المرجع السابق، ص168.

[7] – أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، ص137.

أدى فريضة الحج في عام 890هـ/1485م و لقي بعض أعلام الفكر في المشرق الإسلامي و على رأسهم الإمام السيوطي وخالد الأزهري، ثم رجع إلى بلاده فجلس لتعليم العلم و تحصيله، و طلب الإمامة الجامع.[1] و من كراماته كما اشتهر عند الناس أنه لما زار قبر الشريف طلب الدخول في داخله فمنعه الخدم من الدخول فجلس خارجه يمدح الرسول صلى الله عليه و سلم و قد قال حفيده أحمد بابا التنبكتيعنه: " طلب الدخول إلى داخله فمنعه القيمون منه فجلس على الباب يمدحه صلى الله عليه وسلم، فانفتح الباب وحده بلا تسبب من أحد فتبادر الحاضرون بتقبيل يده، و حدثني والدي _رحمة الله– أنه سأله عنها فسكت فلم يجب".[2]

وقد توفى ليلة الجمعة في ربيع الثاني عام 943هـ عن عمر نحو ثمانين سنة.[3]

1-3- عبد الله بن عمر بن محمد أقيت.

هو عبد الله بن عمر بن محمد أقيت بن عمر ابن علي يحيى الصنهاجي السوفي، فهو شقيق جد أحمد بابا، و هو أوسط الإخوة الثلاثة المشهورين علما و دينا، ولد سنة 866هـ كان فقيها زاهدا حافظا ورعا، وقد تميز بقوة الحفظ و كان وليا صالحا.[4]

و لقد كان تضلعا في العلوم الشرعية وكان مهيب الجانب لورعه وزهده [5]، كان تقيا صالحا متدينا، و قد درس بولاتن و قد قال عنه أحمد بابا: " و من تحريه أنه كان له خادم يبيع اللبن و يجمع ثمنه فباعه مرة بعد المغرب ثم أطلع له على ذلك بعد أن أخلط الخدم ثمنه مع غيره من ماله، فتصدق بالجميع لأجل تعامله البيع بالليل و كان مالا له بال [6]

---

[1]– البرتلي: نفس المصدر، ص27.

[2]– أحمد بابا التنبكتي: نفس المصدر، ص138.

[3] – البرتلي: نفس المصدر، ص28.

[4] – أحمد بابا التنبكتي:**943هـ/1524م) كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تح محمد مطيع، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، د.ط، 2000، ج2، ص255.

[5]– الغربي: المرجع السابق، ص516.

[6]– أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج**، ج1وج2، ص235.

و هذا دليل على أنه كان تقيا و من الصالحين، ونرى بأنه لم يكتفي بممارسة التدريس بتنبكتو بل درس بولاتن و توفي بها سنة 929هـ.[1]

1-4- محمود بن عمر بن محمد أقيت.

هو أصغر أبناء الفقيه عمر بن محمد أقيت، فهو من مواليد تمبكتو عام 1463من و قد عين قاضيا و هو ابن خمس و ثلاثين سنة، و كان يدرس مدونة الإمام سحنون و رسالة أبي زيد و ألفية ابن مالك، وقد كان أول من ابتدأ بتدريس مختصر الخليل.[2]

كان يلقب بشيخ الإسلام أبو البركات وقد كان فقيها عالما قاضيا، وقد قال عنه أحمد بابا: " أنه أبو الثناء و المحاسن عالم التكرور و صالحها، و مدرسها و فقيهها و إمامها بلا مدافع. كان من خيار عبد الله الصالحين العارفين به. ذا ثبت عظيم في أمور وهدى تام و سكون و وقار و جلاله".[3] حيث اشتهر بعدله بحيث لم يعرف له نظير في ذلك الوقت و قد عمل على إحياء العلوم ببلاده و قد كثر عليه طلبة الفقه الذي كان من بينهم فئة من النجباء و مع مرور الوقت بالتدريس أصبحوا علماء.[4]

لقد برز البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج في عام 915هـ/1509م، وقد لقي في حجة جماعة من مشاهير علماء المشرق، أمثال إبراهيم المقدسي و الشيخ زكرياء و القلقشندي و غيرهم من علماء مصر، و تتلمذ عليه والد الشيخ أحمد بابا و القاضي محمود هو من أبرز علماء هذه الأسرة، وهو والد لثلاثة مشاهير علماء و كانوا قضاة بتنبكت و هم: محمد، العاقب، وعمر، ولهم أخ دونهم في الشهرة هو عبد الله.[5]

ولقد مارس محمود بن عمر أقيت التدريس و الفقه و القضاء في تمبكتو لمدة تقارب نصف قرن من الزمن و تتلمذ على يده مجموعة من العلماء [6]، أي أنه عندما عاد من البقاع

---

[1] – عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق، ص335.

[2] – الغربي: نفس المرجع، ص516.

[3] – أحمد بابا لتنبكتي: **نيل الابتهاج**، ج1وج2، ص607.

[4] – أحمد بابا لتنبكتي: **كفاية المحتاج**، ج2، ص245.

[5] – عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق، ص338.

[6] – مقاديم عبد الحميد: المرجع السابق، ص169.

المقدسة درس بها نحو خمسين سنة حتى توفي شهر رمضان من عام 955هـ/ 1548م رحمه الله.[1]

1-5- محمد بن محمود بن محمد أقيت.

ولد سنة 909هـ/1503م في مدينة تمبكت فقيه تميز بالفهم و الإدراك، فهو من دهاة الفقهاء و عقلاء الناس و ولى القضاء بعد أبيه و نال ما شاء الله من الدولة و الرياسة. و قد شرح رجز المفصلي في المنطق و أخذ عنه والد أحمد بابا علم البيان و المنطق.[2]

الفقيه محمد أقيت لم يكن له نظير في عصره في العلم و الدهاء و رجاحة العقل كما أنه اشتغل بالتدريس في تمبكتو، و من آثار التعليق على رجز المغيلي في المنطق[3]، كما أنه كان أستاذ للمنطق و البيان.[4]

قال عنه أحمد بابا أنه: " كان _ رحمة الله تعالى _ على ما أخبرني به والدي ذا فهم ثاقب و ذهن صاف و قد، فهاما داركا من دهاة الناس و عقلائهم، تولى القضاء بعد أبيه فساعدته السعادة فتال ما شاء الله من دولة و رياسة تفيأ منها ضلا ظليلا، و اكتسب من الدنيا طويلا عريضا"[5]. وقد توفى سنة 973هـ/ 1565م.[6]

1-6- القاضي عمر بن محمود بن عمر بن محمد أقيت.

ولد في تمبكتو ودرس فيها على علماء عصره، و كان أغلبهم من أسرته(آل أقيت) و جلس للتدريس ثم تولى القضاء و الإفتاء[7]، و قد أخذ القضاء عن والده في تنبكت في أخر أخر يوم من محرم سنة 993هـ،

---

[1]- أحمد بابا التنبكتي:: **نيل الابتهاج**، ج1وج2، ص303.

[2]- أحمد بابا التنبكتي: **كفاية المحتاج**، ج2، ص234.

[3] - مقاديم عبد الحميد: نفس المرجع، ص169.

[4] - الغربي: المرجع السابق، ص518.

[5] - أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج** ج1وج2، ص597.

[6] - أحمد بابا التنبكتي: **كفاية المحتاج**، ص234.

[7] - الغربي: المرجع السابق، ص527.

حيث كتب له الأسكيا إن لم يقبلها يوليها الجاهل.[1]

و قد عرفه السعدي: " بأنه الشيخ الفقيه الصالح البارع في الحديث و السير، و التواريخ و أيام الناس البالغ الغاية القصوى في الفقه، حتى قال بعض من عاصرهم من الشيوخ أنه لو كان موجودا في زمن ابن عبد السلام في تونس لا ستحق أن يكون مفتيا فيها".[2]

القاضي عمر من الذين حلت بهم كارثة تنبكت أيام الفتح المراكشي و قد أخذ أسيرا إلى مراكش[3]، و قد توفى_ رحمة الله تعالى_ فيها ليلة الجمعة الأولى من شهر محرم [4]، المواقف المواقف لشهر سبتمبر عام 1594م. و قد دفن بمقبرة القاضي عياض السبتي _ رحمها الله تعالى_ .[5]

1-7- العاقب بن محمود أقيت(913-991هـ/1507-1583م).

هو العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت، اشتهر بعلمه و عدله، و كان من الصالحين[6]، وقد أخذ عن العلم عن أبيه و عمه، كما أنه تلقى العلم في مصر في مجالس الإمام أبي الحسن البكري، و تصدر للقضاء و التدريب في تنبكتو. و كان مسددا في أحكامه و صلبا في الحق و ثبت فيه.[7]

و قد قال عنه السعدي: " أنه كان عالما جليلا ثاقب الذهب قوي القلب صلبا في الحق... ذا فراسة، إذا تكلم في شيء لا يخطئ كلامه كأنه ينظر في العيب، وقد ملأ أرضه بالعدل بحيث لا يعرف له نظير في ذلك من جميع الآفاق".[8]

---

[1] – البرتلي: المصدر السابق، ص178.

[2] – السعدي: المصدر السابق، ص212.

[3] – عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق، ص342.

[4] – البرتلي: نفس المصدر، ص178.

[5] – الغربي: نفس المرجع، ص527.

[6] – عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق، ص339.

[7] – الغربي: نفس المرجع، ص518.

[8] – السعدي: انفس المصدر، ص34.

و قد وصفه أحمد بابا: " بأنه كان مسددا في أحكامه ثبت فيها، صلبا في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم، قوي القلب جدا مقداما في الأمور العظام، التي يتوقف فيها. جسورا على السلطان دونه وقع له معهم وقائع، وكانوا يخضعون له ويطاوعونه في كل ما أراد، إذا رأى ما يكره عزل نفسه عن القضاء و سد بابه ثم يلاطفونه حتى يرجع".[1]

و قد رحل إلى البقاع المقدسة و لقي هناك الناصر اللقاني و أبا الحسن البكري و الشيخ البكري، و أجازه اللقاني كل ما يجوز و عنه، و توفى سنة 991هـ/ 1583م.[2]

1-8- أحمد بن أحمد بن عمر أقيت.

ولد في بلاد السونغاي، و أخذ العلم عن والده و جده، وقد برع في الحديث و الفلك و الهندس، و هو والد أحمد بابا التنبكتي [3]، الذي قال عنه: " والدي الفقيه العالم ابن الفقيه العالم ابن أحمد الفقيه أبي حفص، كان علامة فهمة ذكيا داركا، محصلا متفننا محدثا أصوليا بيانيا منطقيا مشاركا.أخذ عن إمام بلده و بركة عصره عمه محمود بن عمر و غيره".[4]

كان رقيق القلب عظيم الجاه وافر الحرمة عند الملوك و كافة الناس، نفاعا بجاهه لا ترد له شفاعة، يغلط على الملوك فمن دونه و ينقادون له أعظم الإنقياد، و كانوا يزورونه في داره[5]، و قد درس في بلاده على يده عمه محمد بن عمر و أخذ عنه شتى فروع العلم [6] و قد شرح منظومة المغيلي شرحا معا حسنا و في الأصول و غيرها، و على الصغرى للسنوسي و القرطبية[7]. و عرف بتواضعه وحبه لأهل الخير و كان يسير إلى قضاء حوائج الناس لدى الملوك.[8]

---

[1]- أحمد بابا التنبكتي: **كفاية المحتاج**، ج2، ص377-378.

[2] - السعدي: المصدر السابق، ص40.

[3] - الغربي: المرجع السابق، ص518.

[4]- أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج**، ج1و ج2، ص141.

[5] - البرتلي: المصدر السابق، ص29.

[6] - الهادي المبروك الدالي: **التاريخ الحضاري**، ص213.

[7] - محمد الصديقبن صالح: " **التأثير الفكري و الثقافي للمغرب الأوسط في السودان الغربي مابين القرنيين 7هـ-9هـ/13م-15م**"، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية و الاجتماعية، العدد8، ديسمبر2018، ص50.

[8]-أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج**، ج1و ج2، ص141.

رحل إلى الحج في سنة 956هـ/ 1545م زار المدينة وقد لقي في مصر مشاهير من الشيوخ أمثال: الشيخ الناصر اللقاني، و الشريف يوسف الأرميوني تلميذ السيوطي، و جمال الدين بن الشيخ زكرياء و الشيخ التاجوري، و الأجهوري و غيرهم من هذه الطبقة فقد استفاد منهم و قد لقي بالحجاز جماعة من كبار العلماء منهم: بركات الحطاب، و عبد الله المعطي السخاوي، و أجاز بعضهم.[1]

و بعد عودته من الحج إلى البلاد قد عمل بالتدريس لفترة قصيرة، فدرس كل من الفقيهين محمد و أحمد ابن الفقيه محمد بغيغ الذي قرأ عليه أصول البيان و المنطق كما درس على يد ابنه أحمد بابا عدة علوم و أجازه، وسمح بقراءة الصحيحين الموطأ و الشفاء.[2]

الشفاء.[2]

و قد توفى_ رحمة الله تعالى_ ليلة الاثنين السابع و العشرين من شعبان عام 991هـ مات و هو يقرأ في صحيح مسلم في الجامع.[3]

1-9- الفقيه أحمد باب التنبكتي.

هو أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر محمد بن أقيت بن عمر بن علي بن يحي بن كدالة بن مكي بن نيق بن لف بن يحي بن تشث، ولد و نشأ في تنبكتو عام 963هـ/1556م، في أسرة من بني آقيت المسوفيين المعروفين بانتسابهم للعلم، و قد تلقى تعليمه في البيئة السودانية التكرورية على يد والده الذي أخذ عنه الحديث سماعا. و المنطق و كان مما درس على الصحيحين و كتاب الشفاء للقاضي عياض و غيرها، و اخذ النحو عن عمه أبي بكر أقيت [4] مملوما شتى و هو أول من أخذ عنه اللغة العربية و علومه و أجازه الفقيه العاقب بن محمود بخط يده كل ما يجوز له، كما أجازه علماء من خارج السودان الغربي و على رأسهم الإمام يحي بن محمد الحطاب الطرابلسي المكي مراسلة.[5]

---

[1] -عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق، ص341.

[2] -أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج**، ج1و ج2، ص142.

[3] - البرتلي: المصدر السابق، ص30.

[4] - أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج**، ج1وج2، ص11-12.

[5] - مطير سعد غيث: المرجع السابق، ص285-286.

لقد اجتهد في بداية أمره و حصل علما واسعا بفضل مطالعاته حتى فاق جميع معاصريه، و حضي بشهرة عظيمة، و لا يناظره في العلم إلا أشياخه، وقد اشتهر أمره في الغرب.

عاصر الفقيه أحمد بن محمد بن سعيد و ارتاد مجالسه العلمية في صفوه و أخذ عن والده مبادئ القراءة و الكتابة و علمي الحديث و المنطق، و أجازه أيضا بخط يده.[1]

و قد استفادت طلبة و علماء المغرب من وجوده بينهم عندما جاء أسيرا إلى مراكش في المحنة المشهورة فقد جلس بجامع الشرفاء بمراكش للتدريس، و ازدحم عليه الخالق و أعيان الطلبة، و بل تتلمذ عليه قضاة مراكش [2] و قبل هذا قد جلس في تمبكتو للتدريس و الإفتاء و القضاء في تنبكتو، و أنه اجتهد في بداية حياته في خدمة اعلم و ذهل من ثقافة عصره، فحفظ القرآن الكريم و أمهات الكتب الإسلامية حتى فاق معاصريه من العلماء و الفقهاء.[3]

أحمد بابا التنبكتي فهو من أهل الخير و الفضل و الدين كان محافظا على السنة و المروة و الصيانة و كان محبا للرسول صلى الله عليه و سلم، و كان أيضا ملازما لقراءة قصائد مدحه و كان فقيها لغويا ونحويا و قد اعتنى بالعلم طول عمره [4]، و قد درس العلوم العقلية و النقلية في مدينة تنبكتو التي كانت في ذلك الزمن عاصمة العلوم و الثقافة الإسلامية في بلاد السودان.

تربى أحمد بابا في كنف أسرة مشهورة بالعلم في بيئة سادت فيها مياه علمية و فكرية مكثفة فقد استغلها أحست استغلال و استفاد منها استفادة عظيمة، [5] و كان وقوفا عند الحق

---

[1]- Mahmoud A.Zouber : Ahmed baba de Tombouctou(1556-1627) et sonoeuver maisonneuve et larose , paris ,1976,p14.

[2]- عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق، ص343.

[3]- مقاديم عبد الحميد: المرجع السابق، 172.

[4]- السعدي: المصدر اللسابق، ص37.

[5]- قاسم جاخانتي: " **المخطوطات الإفريقية المكتوبة باللغة العربية و دورها في العريف بالتراث الإسلامي في غرب إفريقيا أحمد بابا التنبكتي نموذجا**"، مجلة الرفوف، العدد الأول، جوان 2013، ص73-74.

و لو كان أعز الناس، و لا يداهن فيه و لو الأمراء و السلاطين و قد كان اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا في عضده الأيمن بخط أبيض.[1]

و قد واصل تدريسه في مساجد تنبكت إلى أن توفي في شهر أفريل عام (1034هـ/1627م).[2]

ثانيا: بيت عائلة بغيغ.

هي من أهم العائلات العلمية المشهورة القاطنة في السودان الغربي و بالأخص في منطقة تنبكت، إذ عرف عدد كبير من أفرادها، وقد اشتهروا في مجال نشر العلم، وكان معظمهم يشتغلون مناصب الإمامة أو الفقه أو القضاء و من أشهر علماء هذه الأسر نجد:

2-1- الفقيه محمود بغيغ الونكري.

هو الفقيه بن أبي بكر الونكري و هو والد الفقيهين محمد بغيغ و أحمد بغيغ، وقد اشتهر بعلمه و زهده، وقد تولى الإمامة في تمبكتو بعد القاضي عمر أقيت، وقد عرفت أسرته بمقاومة الغزو المراكشي لبلاد السودان. وقف الأسقيا في حربهم ضد المغاربة.[3]

كان –رحمه الله تعالى_ فقيها عالما جليلا، و قد تولى القضاء في رجب عام 959هـ/1551م.[4]

2-2- الفقيه محمد بن محمود بغيغ الونكري.

هو ابن الفقيه القاضي محمود بن أبي بكر بغيغ، تولى القضاء في جني في القرن العاشر للهجري، كان متفننا ورعا صالحا من خيار عباد الله الصالحين مطوعا على الخير وحسن النية[5]، و هو أشهر شيوخ أحمد بابا و تلميذ لوالده.[6]

و قال عنه أحمد بابا التنبكتي أنه: " كان طويل الروح في التعليم لا يأنف من مبتدأ و لا من بليد، أفنى عمره مع تثبته بحوائج العامة و أمور القضاء، وقد أدركته أنا يقرأ من

---

[1] – البرتلي: المصدر السابق، ص31.

[2] – Mahmoud A.Zouber ; OP.cit,p34.

[3] – مقاديم عبد الحميد: المرجع السابق، ص178.

[4] – البرتلي: المصدر السابق، ص114.

[5] – مقاديم عبد الحميد: نفس المرجع، ص170.

[6] – السعدي: المصدر السابق، ص19.

صلاة الفجر إلى الضحى ثم يقوم إلى بيته حيث يقرأ وقت الزوال يدرس فيه إلى الاصفرار و إذا صلى المغرب درس في الجامع إلى العشاء ثم يرجع إلى بيته و كان مع ذلك محقق داركا ذكيا فطنا غواصا على الطائف".[1]

لقدر درس في جني هو و أخوه أحمد بغيغ على يد خاله، ثم رحلا إلى تنبكتو، كما أنه أدى فريضة الحج مع أخيه و خاله، وقد لقوا في طريقهم إلى الحجاز بعض أعلام الفكر المصريين أمثال الناصر اللقاني و التاجوري و الشريف يوسف الأرميوني، و الإمام محمد البكري و غيرهم فأفادوا منهم و أفادوهم.[2]

و قد كان شغوفا بالعلم حبا له، اهتم بشراء الكتب و نسخها، وقال عنه السعدي: " فكان العجب الحجاب في ذلك إيثارا لوجهه تعالى مع محبته للكتب و تحصيلها شراءا و نسخا "[3] و أنه درس على علوم العربية و الفقه على أبيه القاضي محمود في تنبكتو درس المختصر. كان إلى جانب دروسه مؤلفا و محشيا على بعض أمهات كتب الفقه و الحديث، وقد عدة فتاوى، و قد جمع تلميذه أحمد بابا مؤلفاته في مجموع مستقل، و أن بعد حجه رجع إلى تنبكتو لمتابعة تخصصه في الفقه و الحديث.[4]

كان محمد بغيغ من العلماء المتعددي التخصص، العاملين لنا صحين للناس بمحبته العلم و ملازمة التعليم في كل العمر، و كان يبذل الكتب النفسية لمن يرغب فيها دون السؤال عن إرجاءها، و قد رفض تولي القضاء رغم إلحاح الأساكي عليه، فقد تفرغ للتدريس بعد وفاة شيخة الفقيه أحمد بن سعيد، و لا يقطعه عن ذلك سوى القيام لصلاة أو السعي في أمور الناس و الإصلاح بينهم عند القاضي.[5]

لقد كانت العلاقة بين أسرة أقيت و محمد بغيغ علاقة وثيقة، وسيرته في نشر العلم و الدين لا تختلف عن سيرة آل أقيت، وعندما حلت نكبة الغزو المراكشي بعلماء تنبكت عامة و أسرة أقيت خاصة كان هو النبراس الباقي في تنبكت لينير للناس طريق الحق، و قد

---

[1]– أحمد بابا التنبكتي: **كفاية المحتاج**، ج1وج2، ص545.

[2] – عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق، ص351.

[3]– السعدي: نفس المصدر، ص46.

[4]– الغربي: المرجع السابق، ص522–524.

[5]– أحمد بابا التنبكتي:**نيل الابتهاج**، ج1وج2، ص601.

كان موقفه شجاع مع الباشا المراكشي حيث أراد منه الباشا أن يكتب شهادة ضد من أسر من الفقهاء و نفي إلى مراكش، ليتخذها حجة على إدانتهم بالمروق عليه، وأصبح بعد ذلك محل احترام الباشا و صاحب شفاعة عنده لكثير من أهل تنبكت [1] و اشتهر اسمه بالصلاح في نظر أهالي المنطقة و أصبحوا يطلقون اسمه مركبا " محمد بغيغ" على أولادهم [2] و كانت وفاته سنة 1593م عن عمر يناهز اثنان وسبعون سنة.[3]

2-3- أحمد بن محمود بغيغ.

هو ابن محمود بن أبي بكر الونكري، نزل مدينة تنبكت و لازم الفقيه أحمد بن محمد بن سعيد، وقد درس عنه مختصر خليل، وقد رحل مع أخوه و خاله كما سبق ذكره من قبل للبقاع المقدسة و قد تتلمذ على يد العلماء الذين التقى بهم هناك.[4]

و أخذ عن الحاج أحمد والد أحمد بابا الأصول و البيان و المنطق، و قرأ عليه أصول السبكي و تلخيص المفتاح، و توفي يوم الخميس 12 رمضان 978هـ.[5]

2-4- إبراهيم بن أحمد بن محمد بغيغ.

هو حفيد القاضي محمود و ابن الفقيه أحمد من أخيار العلماء و كبارهم، كان فقيها لغويا أصوليا، و قد اشتهر بعلمه و فقهه و قد توفي سنة 1048هـ.[6]

ثالثا: بيت عائلة أندغ.

انحدر منها مجموعة من العلماء و الفقهاء الذين أضافوا للعلم و المعرفة في السودان الغربي كما حظي أغلبهم بمكانة عالية بين سكان الإقليم لانتسابهم من أسرة ذات علم ودين.

---

[1]- عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق، ص352.

[2] - مطير سعد غيث: المرجع السابق، ص282.

[3] - الغربي: المرجع السابق، ص525.

[4]- الأرواني: المصدر السابق، ص132.

[5] - البرتلي: المصدر السابق، ص28.

[6] -الأرواني: نفس المصدر، ص132.

3-1- أبو عبد الله أندغ محمد.

بدأت شمس هذه الأسرة تسطع عندما تقلد منصب القضاء الفقيه العالم أبو عبد الله أندغ محمد بن محمد بن عثمان ين محمد بن نوح، الذي يصفه السعدي بأنه " معدن العلم و الفضل و الصلاح"[1] و كان تقلده لهذا المنصب الرفيع في فترة حكم التوارق لمدينة تنبكت في أواسط القرن التاسع الهجري(15م) و هو جد المؤرخ و من ذرية الفقيه انحدر كثير من شيوخ العلم و الصلاح.[2]

3-2- أبو عبد الله بن المختار النحوي.

هو أبو عبد الله أندغ محمد بن الفقيه المختار بن أندغ محمد حفيد عمر حفيد عمر بن أحمد، والد أحمد بابا تقلد منصب إمام مسجد سنكري، و نعمته السعدي بالورع و التواضع و الثقة بالله، و له صيت فيه العلم بعلوم اللغة العربية و مدح الرسول عليه الصلاة و السلام وهو ممن تخصصوا في سرد كتاب " الشفا" للقاضي عياض في شهر رمضان بمسجد سنكري.[3]

3-5- المختار النحوي.

هو المختار بن عمر بن أحمد السالف الذكر اشتهر بلقب النحوي لتضلعه هذا الفن بجانب علمه بكل فن من فنون العلوم الإسلامية عاصر هو و والده الفقيه سيدي يحيى التادلسي، وتوفي في أواخر العام الثاني و العشرين بعد تسعمائة (حوالي1516م).[4]

3-6- عمر بن أحمد.

هو والد و جد أحمد بابا و كان عالما صالحا تتلمذ على الفقيه الصالح القاضي مودب محمد الكابري و كان حيا حول بداية الثلث الثاني من القرن التاسع الهجري(15م) لأن الشيخ الفقيه مودب الكابري أدرك علماء تنبكت في أواخر دولة مالي.[5]

---

[1] – السعدي: المصدر السابق، ص28.

[2] – أحمد بابا تمبكتي: المصدر السابق، ص.

[3] – السعدي: المصدر السابق، ص27.

[4] – نفسه، ص67.

[5] – أحمد بابا التمبكتي: المصدر السابق، ص64.

3-7- أحمد بن أندغ محمد.

هو العباس الفقيه بن أندغ محمد بن محمود بن الفقيه أندغ محمد الكبير و هو من ذريته كان من أذكياء العلماء و له معرفة بفنون وشتى من المعارف الإسلامية العربية منها معرفته بالفقه و النحو و الشعر و غيرها من الفنون.[1]

رابعا: بيت عائلة بلبالي.

جاءت من الصحراء الوسطى و استقرت في تنبكتو عرفوا بانتسابهم إلى العلم و المعرفة و الفقه و كان لهم دورا كبيرا في نشر الإسلام في السودان الغربي.

4-1- مخلوف بن علي بن صالح البلبالي.

الفقيه الحافظ الرحلة، اشتغل بالعلم على كبر على ما قيل فأول أخذ عنه الشيخ الصالح عبد الله بن عمر بن محمد أقيت أخو جدي ببلاد ولاتن، قرأ عليه الرسالة و رأى منه نجاحه فحصنه على العلم[2] و ترك التجارة فحصل له الرغبة في الطلب فسافر للغرب فأدرك ابن غزي و غيره فأخذ عنه و انتشر علمه و اشتهر بقوة الحافظة حتى ذكر عنه فيه العجب حتى قيل أنه يحفظ صحيح البخاري ثم دخل بلاد السودان كبلو كندوكش و غيرها و أقرأ أهلها و جرى له هناك نواز و أبحاث مع الفقيه العاقب الأنعمني ثم دخل تنبكت و درس هناك و رجع، ثم رجع إلى الغرب فدخل مراكش و درس بها وسم هناك فرجع لبلاده و توفي بعد الأربعين و تسعمائة.[3]

4-2- عبد الله بلبالي.

هو أول من تولى إمامة من بيغان في المسجد الجامع بتمبكتو جاء إلى هذه المدينة في أواخر دولة الطوارق و في أوائل دولة سني علي دخلها رفقة الفقيه و الإمام كاتب موسى لما عاد من فاس، تولى إمامة بعد أن رحل إمام سيدي أحمد من تمبكت إلى فاس.[4]

---

[1] – السعدي: المصدر السابق، ص167.

[2] – أحمد بابا التمبكتي:**كفاية المحتاج**، ج2، ص246.

[3] –أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، ص608.

[4] – الأرواني: المصدر السابق، ص123.

خامسا: بيت عائلة التواتي.

هي من بين أهم العائلات القاطنة بتنبكت، أتوا من التوات و استقروا فيها و اشتهروا بعلمهم هناك، و أن معظم أفراد هذه العائلة اشتغلوا في مجال الفقه و التعليم، و يذكر ابن بطوطة في كتابه أن الطريقة القادرية دخلت في إفريقيا الغربية عامة ف القرن 9هـ/15م على أيدي مهاجرين تواتيين الذين اتخذوا من ولاتة كأول مركز لطريقتهم، لكن أحفادهم طردوا فيها فلجأ هؤلاء الأفراد إلى تنبكتو ف نفس القرن.[1]

5-1- أبو القاسم التواتي.

كان الفقيه أبو قاسم التواتي قد رحل مع جماعة من علماء و شرفاء تافيلالت و استقروا في تمبكتو و جلس فيها معلما [2]، و قد قام ببناء دارا بالقرب من المسجد الأعظم كان يستقبل فيه طلبة العلم و قد كان الأسقيا الحاج يصلي وراءه و يطلب دعاءه، وقد أنشأ أيضا مقبرة بتنبكتو الكبرى التي حبس عليها الأسكيا صندوقا يحتوي على سنتين جزء من القرآن.[3]

كان رحمة الله تعالى صالحا للخير و قد اتصف بصدقه وحقه، كما أنه كان إماما بالمسجد الكبير بتنبكت، وكان ذا كرامات وبركات، وكان من المداحين للرسول صلى الله عليه وسلم، وقد قال البرتلي في كتابه عن هذا : " و موضع المدح كان قريب من داره و متى سمعهم يمدحون خرج إليهم بالزعائف المسخونة، كأنما خرجن من الفرن في تلك الساعة، حتى ولو كان في جوف الليل، حتى تبن للناس أن ذلك من كراماته" [4]. و هو الذي إبتدأ قراءة الختمة في المصحف بعد صلاة الجمعة.[5]

---

[1] -ابن بطوطة: المصدر السابق، ص208.

[2]- ميهوب بن فارح: " **دور الفقهاء المغاربة في نشر العلوم الشرعية في بلاد السودان خلال القرن5هـ-10هـ/11م-16م**"، مجلة الباحث، العدد17، د.س، ص172.

[3]- الغربي: المرجع السابق، ص515.

[4] - البرتلي: المصدر السابق، ص69.

[5]- الغربي: المرجع السابق، ص516.

لقد توفي _رحمة الله تعالى_ في أوائل العام الثاني و العشرين بعد تسعمائة و يقال أنه كان معه هناك بتنبكت خمسين رجلا تواتيين و قد كانوا أمثاله في الصلاح و العلم.[1]

5-2- ابن أبو القاسم التواتي.

بعد وفاة الإمام أبو القاسم التواتي جاء ولده إلى تمبكتو، فقد طلب جماعة من السكان من القاضي أن يجعله مكان والده في الإمامة و أخذ مكانة أبيه، لكنه رفض ذلك لأنه عين إماما آخر مكانه، ثم عاد بعد ذلك إلى التوات.[2]

5-3 الحاج بن أحمد الأمين الملقب بالتواتي العلاوي:

لقد كان من –رحمه الله تعالى- من العلماء العاملين، قائما بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مرشدا صالحا. تهابه اللصوص وتخافه الظلمة، وقد انتفع على يده كثير من المهاجرين، التأبين من المفارقة، وقد ناصر السنة حتى كاد أن يقيم الحدود في بلاده، وكان مسموع الكلمة عند أهل بلده.

كان من أهل المهم العالية، وقد حج مرات بيت الله الحرام، وكان كان نزيه النفس عن طعام الظلمة، توفي رحمه الله تعالى عام 1157م بفزان.[3]

5-4 محمد بن علي التواتي:

كان من بين العلماء والصالحين التواتيين الذين قدموا إلى تنبكت، وقد أتى إليها مع بجماعة من أبناء بلدته، وهو من قام ببناء مسجد التواتيين في تنبكت، سنة 1190هـ/1776م، والسبب الذي جعله يقوم بعلمه البناء، وهو وقوع خلافات دينية بينه وبين أهالي من تنبكت، كان من الأولياء الصالحين وقد عرف بالشمايل الطيبة وغزارة بالعلم، كان صالحا تقيا.[4]

---

[1] – البرتلي: نفس المصدر ، ص70.

[2] –مقلاتي عبد الله، جعفري مبارك: **معجم اعلام توات**، منشورات الرياض، الجزائر، 2012، ص60-61

[3]– البرتلي: نفس المصدر ، ص48-49.

[4] – الأرواني: المصدر السابق، ص75.

المبحث الثالث: أثر البيوتات العلمية في ازدهار مدينة تمبكتو

أولا: الأثر السياسي:

منذ القرن الخامس للهجري الحادي عشري ميلادي، كان معظم ملوك السودان الغربي وبالأخص مدينة تمبكتو وموظفي مالهم ووزرائهم حينئذ من العرب المسلمين، وقد تمكنوا للوصول من خلالهم إلى مراكز هامة، وكان سبب هذا إلمامهم بالقراءة والكتابة، وتحل به صفات من الخصال الحميدة كالصدق والأمانة وحسن المعاشرة، وهذا ما جعل ملوك السودان يقومون بتأسيس مسجد قريبا منهم.[1]

وقد أتاح للعلماء ورجال الدين لتقليدهم في أرقى المناصب والديوان والاستشارة بهم فأثروا في الأهالي وأحكامهم وتأثروا بهم، وأن معظم العلماء الذين سبق ذكرهم من قبل عملوا في ميدان القضاء وإشتهروا بعدلهم واتصفوا بالحق.

كما كان لهم أثر بنفوذهم السياسي بفتح المجال لهم للمصاهرة الأسر السودانية الحاكمة و النبيلة، وذلك لاستثمار نظم الوراثة التي كانت عن طريق الأم في الوظائف القيادية هناك، و أن هذا أدى بهم للتعامل مع الأسر الحاكمة و النبيلة و مختلفة الجماعات الوافدة للمنطقة، هو كله أثر على السودانيين و المغاربة فامتزجوا و تصاهروا و تشاركوا الحياة، فهذا السبب الذي أتاح لهم لتقلدهم أرقى المناصب مثل القضاء، الخزانة، و الديوان و الاستشارة، فقد أثروا فالأهالي و حكامهم و تأثروا بهم.[2]

ثانيا: الأثر الاقتصادي:

لقد برز تأثير العائلات على الحياة الاقتصادية في بلاد السودان الغربي عامة و في تنبكتو خاصة، حيث بلغت القوافل التجارية القادمة إليها من الشمال الإفريقي سنة 751هـ/ 1350م اثني عشر ألف جمل، و نرى أن المدينة قد بغلت قوتها في الازدهار في القرن العاشر للهجرة، السادس عشر ميلادي. حيث عرف بالعصر الذهبي لهذه المدينة.[3]

---

[1] – البكري: المصدر السابق، ص175.

[2] – مطير سعد غيث: المرجع السابق، ص302.

[3] – الهادي المبروك الدالي: **التاريخ السياسي و الاقتصادي**، ص307-308.

و لقد ساهموا بشكل كبير في تقديم و توسيع رقعة البقاع الخاصة بالنشاط التجاري و ازدهار طرق القوافل التجارية بين شمال القارة و غيرها، و قد برز أثر واضح في تغيير نظم المعاملات التجارية كالمقايضة و العملات و المقاييس و المكاييل و الأوزان الزراعية الثروة الحيوانية، و الصناعة. فقد قامو بتنظيم هذا المجال.[1]

و قد عملوا على تنظيم تجارتهم تنظيما محكما فتمكنوا من فتح فروع عديدة في معظم المدن(أوروبا، أجيل، تغازة)، إضافة إلى أنهم ساهموا في تحديث المعاملات التجارية التي كانت تتم طريقة المقايضة بالذهب أو الملح أو النحاس، و قد أصبحت بواسطة العملة النقدية، و قد نرى بأنهم اهتموا اهتماما كبيرا بالتجارة هذا لأنها كانت المصدر الرئيسي لمدينة تمبكتو.[2]

ثالثا: الأثر الثقافي.

يعود ازدهار تنبكت الثقافي إلى هجرة الكثير من العلماء فيها، فبفضل هذه العائلات العلمية التي سكنت فيها أصبحت من الناحية العلمية و الثقافية تضاهي الكثير من المراكز العلمية العالمية في العالم الإسلامي كالقيروان و فاس و مصر و قرطبة في الأندلس، وهذا ما مكنها من أداء دورها في نشر الإسلام و الثقافة العربية في بلاد السودان الغربي.[3]

لقد تميزت مدينة تنبكتو عن غيرها بالثقافة الإسلامية و أن المذهب المالكي الذي انتشر بين شعوبها و الذي استمر إلى يومنا هذا، و قد كان سبب هذا هو العلماء و الفقهاء المغاربة الذين استقروا بالمدينة و جعلوا منه مذهبا رسميا لها[4].

كذلك ظهر تأثيرهم بالنظر إلى الكتب التي كانت ترد إليها بكميات كبيرة، كما ازدهر عملهم في مجال التدريس و القضاء، و قد بدأ الإنتاج و التبادل الثقافي، فألفت العديد من الكتب التي كانت طرف علماء البيوتات، و كذلك إقبال الطلبة بشغف على دراسة فيها

---

[1] – مطير سعد غيث: المرجع السابق، ص 359–360.

[2] –ج.ت. نياني: **تاريخ إفريقيا العام**، ج4، ص215.

[3] – مقاديم عبد الحميد: المرجع السابق، ص69–70.

[4]- نعيم قداح: المرجع السابق، ص65.

جميع أنواع المعارف باللغة العربية و هي التي كانت اللغة الرسمية للمنطقة، بالإضافة إلى ظهور المكتبات.[1]

كما أن وجود العلماء و الفقهاء بالمنطقة كان لهم دور كبير في محاربة البدع و الخرافات التي كانت تسود من قبل في المنطقة و هذا من خلال استشارة كبار العلماء و الاستعانة بهم في كل الأمور.[2]

كما أن تمبكتو عرفت أيام سلطنة مالي نموا واسعا في العلاقات التي شملت إتجاهات عديدة و متعددة، و أن الصلات الثقافية التي كانت أوسعها مما أدى إلى ارتحال الكثير من علماء ممر إلى تمبكتو ليعملوا بها و ساهموا للمنطقة في إيراد كتب إسلامية كانت منتشرة في القاهرة.[3]

و قد عرفت في أيام الأسقفيين كل المعارف التي توصل إليها العالم سواء عن طريق الكتب التي كانت ترد إليها و عن طريق التجارة و الفقهاء، و أن هذا الازدهار تحقق بفضل ما تميز به سلاطين سنغاي من اجتذاب عدد من العلماء المسلمين للمنطقة و تكريمهم حيث بدأ الإنتاج و التبادل الثقافي فقد ألفت العديد من الكتب في فروع الفقه و المنطق و العروض و النحو و التاريخ.[4]

و قد اكتسبت رحلات الحج للعلماء و العامة طابقا دينيا و عادوا به إلى بلادهم (تنبكت) من خلال أدائهم لمناسك الحج، و هذا لاتصالهم بالعلماء و الفقهاء و الجلوس في مجالسهم العلمية، و كانوا يعودون إلى تنبكتو بتلك الثقافة الإسلامية المكتسبة من البلاد المقدسة، و كان العالم أو الفقيه عندما يؤدي فريضة الحج يضفي على نفسه شيء من الهبة و الدرجة العالية بين قومه، و كان أغلب أولئك الحجاج يتأخرون في رحلة الحج، و لا يعودون إلا بعد قضاء مدة طويلة، و ينتفعوا هناك.[5]

---

[1]– عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق، ص325–326.

[2] – السعدي: المصدر السابق، ص76.

[3] - عصمت عبد اللطيف دندس: المرجع السابق، ص168.

[4] – عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق، ص325–326.

[5] – مقاديم عبد الحميد: المرجع السابق، ص121–126.

رابعا: الأثر الاجتماعي.

لقد كان أثر للبيوتات العلمية في الجانب الاجتماعي و قد يظهر هذا الغمتزاج الواضح بين التقاليد المحلية و التقاليد العربية الإسلامية الوافدة من مناطق الوطن العربي، مما أدى إلى ظهور نتاجا لهذا الامتزاج تقاليد عربية إسلامية إفريقية.

فنرى أنه في البداية كان الزواج محصورا فقط داخل العشيرة الواحدة و هذا حفاظا على تماسكهم، و كان الابن يسمى باسم الأم، ثم اسم عائلة الأم أو باسم قبيلتها، و الأم هي المسيطرة على النظام العائلي.[1]

و لكن بوجد البيوتات العلمية و بفقهائها قد عملوا على تنظيم الحياة الاجتماعية بتنبكتو و قد صارت الكثير من العادات الاجتماعية تسير وفقا للشريعة الإسلامية و قد أصبحت أسمائهم عربية، و أصبح نسب الفرد لأبيه ليس لأمه.[2]

إن أصحاب المنطقة في بداية الأمر كانوا يلبسون لباس مصنوع من الجلود ليسترون أجسادهم، و لكن بتأثير هؤلاء الصالحين و العلماء أصبح لباسهم عمايم يحيك مثل العرب و قماشهم أبيض من ثياب القطن الذي يزرع عندهم، و أصبح اهتمامهم بالتأنق في ملابسهم و النظافة من أجل الصلاة و الاغتسال يوميا، و التباهي بملابسهم النظيفة، و أما النساء فقد أصبحن ملتزمات بارتداء الحجاب و معروفين بسترتهم و حيائهم.[3]

و قد بين الأرواني في كتابه أنهم قد تأثروا أيضا في بعض من أصناف الطعام التي إنتقلت إلى المنطقة من الشمال الإفريقي إلى تنبكتو و منها أكل الكسكس.[4]

كما نجد أيضا أنها قد زالت الفوارق اللونية و الطبقية في المنطقة بين الوافدين و بين أخل المدينة، وقد تصاهروا و تزوج هؤلاء ببنات من المنطقة و قد أنجبوا منهن، و قد تقيدوا في نظام الأسرة و تعدد الزوجات حسب ضوابط الشرع الإسلامي بما يأمر، و أنهم كانوا في بداية أمرهم لا يحترمون المرأة و يتعالون من نشأتها، لكن بوجود هؤلاء العائلات العلمية

---

[1] –مطير سعد غيث: المرجع السابق، ص368.

[2] – نعيم قداح: المرجع السابق، ص94.

[3] – مطير سعد غيث: المرجع السابق، ص371–372.

[4] – الأرواني: المصدر السابق، ص14.

و بفقههم و نشرهم للدين الإسلامي و مبادئه الصحيحة أصبح لها شأن عظيم و رفعوا مكانتها.[1]

كما نرى أيضا تطور و تغير في بناء منازلهم ففي بادئ الأمر كانت منازلهم تبنى من أغصان الأشجار و جلود الحيوانات و كانت على شكل خيام [2]، لكن تطورت و ازدهر نظام البناء فيها ظهرت في بناء المنازل و القصور للسلاطين و عرفت نظام الزخرفة و النقش على طابع الإسلامي المغربي.[3]

[1] – مطير سعد غيث: نفس المرجع، ص370.

[2] – حسن الوزان: المصدر السابق، ص165.

[3] – مطير سعد غيث: نفس المرجع، ص374.

الفصل الثالث:

دور البيوتات في نشر العلم و حركة التأليف

المبحث الأول : دور البيوتات العلمية في العلم و الثقافة العربية الاسلامية

أولا : دورهم في التعلي

ثانيا: تأسيس المكتبات

ثالثا: توليهم منصب القضاء و الامامة

المبحث الثاني : حركة التأليف للبيوتات العلمية

اولا : عائلة اقيت

ثانيا : عائلة اندغ

ثالثا: عائلة بغيغ

المبحث الثالث : دور البيوتات العلمية في التواصل العلمي و الثقافي

اولا : مع بلاد المشرق

ثانيا: مع بلاد المغرب الاسلامي

ثالثا : مع شعوب غرب افريقيا جنوب الصحراء (المدن المجاورة

حظيت تمبكتو خلال القرن 16م حركة علمية وفكرية، وهذا بسبب البيوتات العلمية التي كانت تستقر فيها، ومن خلال إسهاماتها الحضارية لمدينة. فقد نشط التعليم والتأليف بها، وكثرة بها المراكز العلمية، كما ساهم هؤلاء العلماء في توطيد العلاقات الثقافية المدينة مع باقي الأقطار الإسلامية.

المبحث الأول: دور البيوتات العلمية في العلم والثقافة العربية الإسلامية

أولا: دورهم في التعليم

لقد حظي التعليم في تمبكتو بمكانة كبيرة من السلطة والشعب، وهذا بالنظر كما كان يتيح الطالب من مكانة مرموقة في المجتمع بعد تحصيله، والإرتباطه بالمقومات الدينية. ولما كان يتمتع به العالم من تقرير من الحاكم وتقديس من العامة [1]، هذا ما جعلها تشهد نشاطا كبيرا فيما يختص بحركة التدريس، فقد ضمت مدارسها العديد من الطلاب والأساتذة[2].

لقد ساهمت البيوتات العلمية في تنشيط الحركة التعليمية، وكان لهم دورا بارز في مجال التعليم، فقد ظهر منهم علماء بارزون في مجال التدريس. كما كان لهم دور في فتح بعض المساجد الصغيرة و إنشاء الكتاتيب للتحفيظ بها القران للأطفال الصغار [3]. وكانت نسبة كبيرة من المدرسيين بتلك المدينة من بلدان المغرب[4].

ومن أشهر البيوتات التي كانت لها أثر واضح من التعليم والتدريس هي عائلة أقيت فقد قاموا بتدريس عدد من العلوم المختلفة سواء العربية أ الفقهية، وقد ظهر منهم من ذاعت شهرته داخل تنبكت وخارجها، وقد كان لهذه العائلة دور في مرحلة التعليم العالي الذي كان

---

[1] –الغربي: المرجع السابق، ص546.

[2] – نعمة عبد السلام: المرجع السابق، ص206.

[3] – الغربي: نفس المرجع، ص547.

[4] – السعدي: المصدر السابق، ص48.

يعتمد أساسا على الأمهات الذي يدرسه، فقد كان جوهر التعليم في هذه المرحلة يعتمد على شرح النصوص واستيعابها والتعليق عليها وفقا للأسلوب التعليمي التقليدي.[1]

[1]– سوزي أباضة محمد حسن: "**عائلة أقيت وإسهاماتها الثقافية في تنبكت**"، **مجلة الدراسات الإفريقية** ، العدد26، 2004 ص150

ومن أهم العلماء الذين برزوا في التدريس نجد : الحاج أحمد بن عمر فقد ذاعت شهرته في علوم اللغة وآدابها، وهو يمثل الفرع البكري لهذه العائلة، فقد نهل هذا العلم عن خاله النحوي الشهير الذي كان لغويا وعروضيا، وكان ذا فصاحة في الأدب، وقد اشتغل بالعلم والتدريس طوال حياته وكان فقيها لغويا نحويا عروضيا.[1] ونجد أيضا عبد الله بن عمر بن محمد أقيت برز في علم النحو والفقه، فقد نبغ في النحو و الفقه واللغة وكان ضليعا فيها. وقد مارس التدريس في تمبكتو.[2]

لقد كان الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت أيضا مدرسا بها، فقد عمل على إحياء العلوم ببلاده وقد كثر عليه طلبة الفقه الذي كان من بينهم فئة من النجباء ومع مرور الوقت بالتدريس عنده أصبحوا علماء [3]. وكان هو أول من إبتدأ بتدريس مختصر الخليل [4]. كذلك نجد العالم والفقيه أحمد بابا التبكتي فقد كان له دور في التعليم حيث جلس للتدريس في تمبكتو وقد اجتهد في بداية حياته في خدمة العلم [5]. واعتنى به طول عمره، وقد درس العلوم العقلية والفقلية في مدينة تمبكتو التي كانت في ذلك الزمن عاصمة العلوم والثقافة الإسلامية في بلاد السودان، وقد واصل تدريسه في المساجد حتى توفي [6] . ونجد أيضا الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر أقيت كذلك عمل على التدريس وقد برع في علم الحديث والفلك والهندسة. وكان أيضا العاقب بن محمد أقيت عمل كذلك على التدريس بتنبكتو [7]. ونجد أيضا الفقيه محمد بن محمود بغيغ الونكري عمل بالتدريس هناك وكان يدرس ساعات طويلة خلال اليوم

---

[1]– سوزي أباضة محمد حسن: المرجع السابق، ص151.

[2]– أحمد بابا التنبكتي: **نيبل الابتهاج**، ج1و2، ص235.

[3]– أحمد بابا التنبكتي: **كفاية المحتاج**، ج 2، ص245

[4]– الغربي: المرجع السابق، ص516.

[5]– مقاديم عبد الحميد: المرجع السابق، ص172.

[6]– قاسم جاخاتي: المرجع السابق، ص73.

[7]– الغربي: المرجع السابق، ص518.

في المسجد[1]. ونرى أيضا إبراهيم بن أحمد بن محمد بغيغ الذي اشتهر بعلمه كذلك عمل بالتدريس. وغيرهم من العلماء الذين ساهموا بتعليمهم في تنشيط الحركة العلمية[2].

أما عن أهم العلوم التي قاموا بتدريسها، فنجد علوم اللغة والنحو كانت من أهم هذه العلوم لأن تعلم القرآن واللغة العربية من أهم الضروريات. فقد ارتبط الإسلام باللغة العربية واحتلت عندهم مكانة القداسة لأنها لغة القرآن، فعن طريق معرفتها يتم التعرف على العلوم الدينية جميعها، فقد أصبح أساس التعليم هو حفظ القرآن وتفسيره ودراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية[3]. وقد اتصف التعليم بانتظام في مراحله، وقد تمثلت هذه المراحل فيما يلي:

أ-**المرحلة الابتدائية**: وفيما يتعلم التلميذ الحروف الهجائية ليسهل عليه قراءة القرآن و الكتابة في اللوح، وكان التلاميذ يكتبون ما تيسر من آيات القرآن الكريم في الألواح ولا يجوز لهم محوها إلا بعد حفظها وعرضها على الشيخ الذي يأذن لهم بمحوها وكتابة آيات أخرى بطريقة تسلسلية. حيث تعد هذه المرحلة أساسية للطلاب حيث يتزودون فيها معرفة مبادئ القرآن و الكتابة وعادة ما تضم هذه المرحلة الصبا وكانت مدة بقاء الطالب تتراوح ما بين الخمسة أو الستة أعوام[4]. أي مستوى هذه المرحلة لا يتجاوزون مرحلة الصبا[5].

أما طريقة التعليم فكانت في الألواح الخشبية التي يكتب فيها الطالب الحروف الهجائية ويبدأ بحفظها وتعلمها من طرف المعلم الذي يستعمل أدوات الكتابة كالتعلم الخشبي والمدواة المملوءة بالصَمغ، فيجلس الطلاب أمامه في شكل حلقة دائرية ويكتب لهم ثم يقول وهم يرددون من ورائه وهكذا حتى ينتقل الطالب إلى مرحلة الكتابة بنفسه دون معلم، ثم يصبح دور المعلم التوجيه وتصحيح الأخطاء التي يقع فيها الطلاب، إضافة إلى تحفيظ بعض المثون الفقهية واللغوية، وقد يصف حسن التوازن طريقة التعليم في بلاد السودان الغربي

---

[1]- أحمد بابا التنبكتي: **كفاية المحتاج**، ج 2، ص545.

[2]- الأرواني: المصدر السابق، ص132.

[3]- سوزي أباضة: نفس المرجع، ص151.

[4]- عبد الله عيسى: **التعليم في غرب إفريقيا خلال القرن 16م**، "مجلة البيان العدد328، سبتمبر 2014، ص5.

[5]-عبد القادر زبادية: **حركة التعليم في تمبكتو**، ص44.

بقوله:"ويعلمهم المعلم القراءة والكتابة وليس في كتاب معين بل الاستعانة بألواح خشبية كبيرة يكتب عليها التلاميذ ويقتصر درس كل يوم على آية من القرآن في سنتين أو ثلاث سنوات ثم يستأنف ذلك عدة مرات إلى أن يجيد الطفل تعلمه بصورة متقنة جدا ويحفظه على ظهر قلب أو يدرك بعد انقضاء مدة سبع سنين ومن ثم يعلم المعلم الأولاد قليلا من الخط[1].

وباهتمام أهل المنطقة وحرمهم على تعليم أولادهم القراءة والكتابة وتحفيظهم كتاب الله فقد انتشرت الكتاتيب التي كانت تضم أعداد من التلاميذ، وأصبحت كل واحدة منها بمثابة مدرسة ابتدائية مستقلة بذاتها، [2] ملحقة بالمساجد وحيث توجد في جانب كل مسجد غرفة أو غرفتان للتدريس، حيث يتم التدريس في دور قرية من المسجد أو تحت ظلال الأشجار [3]. وقد كانت تنتهي هذه المرحلة بحفظ بعض المبادئ الفقهية وبختم القرآن كاملا أو أجزاء منه [4]. وبهذا تكون مناسبة لتكريم الصبي، وكذا حفظه القرآن كاملا حيث تقام له وليمة كبيرة، ويأخذ التلميذ اللوح الذي درس فيه ويطوف به على بيوت معلميه وأقاربه. ويصحبه في طوافه مجموعة من زملاءه في الدراسة، ويذبح أبوه الغنم والبقر[5].

أم فيما يخص مكانة المعلم وتكريمه في المنطقة أنه عندما يصل الطفل إجازة جزء لا بأس به من القرآن الكريم، يقوم والده بتقديم هدية معينة للمعلم، وكان التلاميذ يبذلون جهودهم في حفظ القرآن الكريم، وكان التلاميذ يبذلون جهودهم في حفظ القرآن الكريم. وكان من ينجح في بلوغ ذلك كان يسمى "حافظا"، وكان القرآن الكريم هو المصدر للمعرفة والتعليم لذا حرصوا على مداومة قراءته [6]. قال رسول الله صلى الله عليه وسم"خيركم من تعلم القرآن وعلمه".

---

[1]–حسن الوزان: المصدر السابق، ص539.

[2]– مقاديم عبد المجيد: المرجع السابق، ص59.

[3]– عبد الله عيسى: المرجع السابق، ص6.

[4]– زمان عبيد وناس: المرجع السابق، ص221.

[5]– محمود كفت: المرجع السابق، ص181.

[6]عبد الله عيسى: نفس المرجع،ص6. –

ب/مرحلة التعليم الثانوي والعالي: في هذه المرحلة الالتحاق لهاتين السنتين لم يكن محدد ومشترط، وذلك لأن التعليم كان حر بالنسبة لالتحاق الطلبة، وعادة ما تكون في المساجد، ففي التعليم الثانوي كان التعليم يتم في جامع سنكوري، حيث تدرس فيه المواد الأكثر وضوحا وبساطة، مثل النحو والفرائض والبلاغة، ثم يندرج الطالب من الدراسات البسيطة إلى الكتب والمؤلفات الأكثر تقيدا كعلوم التفسير والحديث والتاريخ والعلوم العربية.[1]

كان يتولى التدريس في هذه المرحلة غالبا ما يسمون بـ"الأشياخ" ويبدو أن الأشياخ والعرف العام أنذاك، حيث كانوا متوسطي الثقافة بالنسبة للأساتذة. ولكن عدد من الأساتذة تعاطوا أيضا تدريس مثل هذه المؤلفات، ويبدوا أنهم كانوا يقسمون أوقاتهم خلال النهار فيدرسون مثلا في الصباح طلاب في مستوى الثانوي، ثم يجلسون بعد الظهر لطلاب المرحلة العليا أو العكس بين المرحلتين. ومن مستويات التعليم بين المراحل وكان لكل مرحلة منهج خاص بها[2].

أما بالنسبة للتعليم العالي في تمبكتو فكان يتم أيضا في جامع سنكوري، حيث كانت تدرس فيه المواد بشكل اختصاصات، ويتم تناولها بتفصيلات واسعة وتناقش فيه المسائل على مستوى أمهات المؤلفات التي عرفها المسلمون. وقد بلغ عدد الطلبة في حوالي عشرة ألاف إلى خمسة ألف طالب من مختلف الجهات، وأنه كان البعض من الشيوخ من يجلس للتدريس من الصباح إلى الظهر ثم ينصرف، إلى عمل آخر يكسب منه معيشته، والبعض منهم يستمر في التدريس حتى الغروب ولا يقوم إلا للصلاة والغذاء[3]

أما فيما يخص المنهج الدراسي لهاتين المرحلتين فهي تدرس المواد بشكل تخصصي، وتمتاز بتفصيل واسع، والأمر الذي يعكس مدى تأثير المؤلفات المغربية في الحياة وشروح إبن القاسم، وكتب المغيلي، وموطأ الإمام مالك وغيرها، وهي كتب كان العلماء يقومون

---

[1]– مريم باي وآخرون: المرجع السابق، ص63.

[2]– عبد القادر زبادية: **حركة التعليم في تمبكتو**، ص44.

[3]– مريم باي وآخرون، نفس المرجع، ص64.63.

بتدريسها شرحًا وتعليقًا، سواءً عن طريق المشافهة أو عن طريق الكتابة، إضافة إلى هذا تدريس الحديث النبوي الشريف[1].

وقد تعتبر هذه المرحلة أشد صعوبة وأكثر عمقا من المرحلة السابقة ففي هذه المرحلة ينتقل الطالب من دراسة المجمل إلى المفصل ومن الاختصاصات إلى الشروح والتعلقات والدقة،[2] أما أسلوب الشيوخ والأساتذة في هذه المرحلة فيغلب في تعاملهم مع طلبتهم التواضع واللين والتبسيط في المسائل مع كثرة الشروحات، إضافة إلى اتصافهم بصبرهم على المناقشات المختلفة مع طلابهم حتى يتمكن هؤلاء من بلوغ أهدافهم وكانت الطريقة الشائعة في التدريس أن يملي الأستاذ رأيه في المسائل على طلبته، وبعد أن يقرأ الطلبة في الكتاب المقر بحضور الأستاذ ثم يطلب من كل واحد منهم توضيحًا على كل شيء شكل عليهم وأثناء ذلك يكتب الطلبة التفسيرات التي يعطيها الأستاذ جوابًا على استفساراتهم[3].

وقد اختلت جامعة سنكري في تنبكتو الريادة في هذه التعليم حيث يقصدها الطلاب من جميع أنحاء بلاد السودان وخارجها، كما كان لا يجلس فيها إلاّ العلماء الكبار المتخصصين في جزئيات العلوم الفقهية واللغوية، وقد إمتيازات بالحرية التامة في نظام التدريس [4]، إضافة إلى هذا أنه كان القضاة هم الذين يشرفون على هذا النوع من التعليم[5].

عند النظر إلى أمكنه التدريس لكل مراحل التعليم في تمبكتو نجد أن المساجد والجوامع هي الأمكنة الأساسية، وكان من أشهرها وأكثرها اكتظاظا بالطلبة والمدرسين خلال القرن السادس عشر جامع سنكوري، ويقع هذا الأخير في القسم الشمالي من مدينة تمبكتو إضافة إلى مساجد أخرى، وقد كانت بعض الجوامع تحتوى على مراحل التعليم الثلاث[6].

---

[1]–عبد الله عيسى: المرجع السابق، ص7.

[2]–مطير سعد غيث: المرجع السابق، ص222.

[3]– زمان عبيد وناس: المرجع السابق، ص 227.

4_ مطير سعد غيث، نفس المرجع، ص223.

[5]–مقاديم عبد الحميد: المرجع، ص59.

[6]– عبد القادر زبادية: **حركة التعليم في تمبكتو**، ص44

أما بالنسبة لتنقلات الأساتذة والطلاب فنجد أن نسبة كبيرة من المدرسين أتو من بلدان المغرب، أما الطلبة فقد كانت لهم خلال القرن السادس عشر حركة نشيطة وراء طلب العلم وأكثر الذين كانوا يردون على تمبكتو كانوا من المناطق الغربية، وكثيرا من الطلبة كانوا حينما ينهون دراستهم في تمبكتو، ينتقلون إلى المغرب الأقصى أو إلى المشرق أو إلى المغرب[1].

ج/التعليم المهني:

يعتبر هذا النوع من التعليم قليل مقارنة بالمرحلتين السابقتين، لكن رغم قلة هذا النوع من التعليم واقتصاره على مهنة الخياطة، وبعض المهن الأخرى كصناعة السيوف والحراب فإن هذه التدريس كان يتولاه معلمون مخصصون عرفوا ب" شيوخ الرؤساء" [2]، وقد وصف حسن الوزان هذا النوع من التعليم عندما زار تمبكتو في القرن العاشر الهجري حيث قال:"ودكاكين للصناع والتجار ولاسيما دكاكين نساجي أقمشة القطن" [3]، وقد تحدث محمود كعت عنه حيث بين أنه يوجد في تمبكتو وحدها بستة وعشرون بيتا بها. مابين خميس وسبعين إلى مائة تلميذ وقد أشار أيضا إلى وجود مدارس الصناعات التقليدية حيث قال: "وأخبرني محمد بن المولود أنه رأى منها ستة وعشرون بيتا من بيوت الخياطين المسماة بتندا ولكل واحد من تلك البيوت شيخ معلم وعنده من المتعلمين نحو خمسين، وعند بعضهم سبعين إلى مائة".[4]

وكان التدريس والعمل يتم في بيوت ومقر عمل شيوخ المهن، وعادة ما كانت هذه المهن الحرفية تتوازن حيث تنتقل من الأب إلى الابن حتى احتكرت بعض الأسر مهنًا معينة، وأحيانًا يجتمع أصحاب المهن الواحدة في مكان واحد، و يكون لهم شيخ يشرف على

1_ محمد كعت: المصدر السابق، ص80.

2– عبد الله عيسى، المرجع السابق، ص8.

3– حسن الوزان: المصدر السابق، ص166.

4– محمود كعت: المصدر السابق، ص180.

شؤونهم ويدافع عن حقوقهم، وأن هذا التعليم لم يستقطب معلمين وأساتذة من أفراد البيوتات العلمية لأنه لم يختصوا في هذا المجال[1].

الإجازات:

لقد عرف المدرسون والطلاب في تمبكتو خلال القرن السادس عشر نظام الشهادات أو ما يسمى بالإجازات [2]، وقد كانت الشهادات تمنح فردية، بمعنى أن الطالب يستطيع الحصول على شهادة من الأستاذ في المواد التي يتقنها [3]، ويقول عبد الرحمن السعدي عن أستاذه الذي أعطاه إجازة: "باحثته كثيرا في المشكلات، و راجعته في المهامات، وبالجملة فهو شيخي وأستاذي ما نفعني أحد كنفعه وبكتبه...، وأجازني بخطه جميع ما يجوز له وعنه[4].

فالإجازة المادة العلمية هي إذن أو رخصة تتضمن المادة العلمية الصادرة من أجلها يمنحها الأستاذ للطالب، وتكون الإجازة لهذا المعنى طريقة من طرق نقل الحديث وتحمله من الشيخ إلى من أباح له نقل الحديث عنه [5]، وهي إقرار الأستاذ بأهلية الطالب بعد تحصيله التام لفن من الفنون ويتم النطق بذلك الإقرار ويحرر على ورقة تعطى للطالب المتخرج[6].

كانت طريقة الإجازة بسيطة وكانت مما يتلاءم، والطريقة ال التي تستند إلى تأكد الأستاذ من أن الطالب قد أحرز على التمكن الكافي في مادة يتقنها. وأن الأستاذ كان يراعي بدقة مدى الكفاءة التي يكون قد تحصل عليها الطالب في دراسته، وأن الشهادات كانت في شكل انطباع يسجله الأستاذ على مذكرات الطالب في مادة أو أكثر، بعد أن يكون الطالب قد اطلع على كل المؤلفات الكبيرة والصغيرة في موضوعها، وأجاد تحصيل المعلومات الموجودة بها[7].وكان أولئك الطلبة في تنبكتو يجتهدون في الحصول على ثناء مكتوب من

---

[1]– مطير سعد غيث: المرجع السابق، ص226.

[2]– عبد القادر زبادية: **حركة التعليم في تمبكتو**، ص46.

[3]– سليماني يوسف: المرجع السابق، ص168.

4_ السعدي: المصدر السابق، ص46.

[5]– مقاديم عبد الحميد: المرجع السابق، ص62.

. [6]–مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص622

[7]– عبد القادر زبادية: نفس المرجع، ص46.

بعض أساتذتهم أو على إجازة علمية جزئية أو عامة، لأن من شأن ذلك أن يفتح لهم أبواب التدريس والتوظيف في بلادهم[1] .

ثانيا : تأسيس المكتبات

مع اتساع الحركة الفكرية خلال القرن السادس عشر واتساع استيراد الكتب من المشرق و المغرب، وتوفر الورق بالمنطقة وزيادة عدد المتعلمين أصبح الكتاب يلاقي رواجا كبيرا فيقتنيه الناس أكثر الاقتناع أو للتبرك، وقد كانت أثمان الكتب مرتفعة بالقياس إلى مراكش أو فاس، حيث اعتنى العلماء باقتناء الكتب واستنساخها وتملكها، وقد استوى في ذلك الملوك والتجار الذين لم يفرطوا في متعة تكوين خزائن في بيوتهم، وقد انتشرت المكتبات الخاصة في تنبكتو بشكل واسع[2].

لقد لعبت المكتبات دور هام في تعليم وتثقيف طلبة العلم في المنطقة وباقي المناطق الأخرى وقد تجلت حاجة الناس إلى الكتاب أكثر فأكثر من حاجاتهم الأخرى، ولتلبية هذه الحاجة الماسة كان من الضروري إيجاد الكتب التي هي عماد الثقافة والمعرفة، وهي التي ساهمت في انتشار الثقافة الإسلامية في تنبكتو[3].

كانت الكتب من أهم سلع تجارة عبر الصحراء وقد كانت لا تخلو قافلة من المغرب إلى تمبكتو و من الكتب لأن أسعارها تفوق ما يدفع نظير أي سلعة أخرى، وقد تدر أرباحًا تفوق أرباح سعائر البضائع[4]. ولأنه كثر طلبها غلت أسعرها [5]، ولا يبدو أن غلاء السعر من من ندرة السلع، وإنما سوق الكتب كانت نافقة، وتقتني حتى في القرى النائية، وعلى هذا لم يكن غريبًا أن تتطور مناعة نسخ الكتب، ويقوهم بذلك متخصصون مهرة أو العلماء بأنفسهم وهذا السبب الذي أدى إلى تكوين عدد كثير من المكتبات الخاصة بالمنطقة، منهم مكتبات

---

[1]– الغربي: المرجع السابق، ص547.

[2]– العربي: المرجع السابق، ص556.

[3]– سليماني يوسف، المرجع السابق، ص165.

[4]– حسن الوزان: المصدر السابق، ص167.

[5]– محمود كعت: المصدر السابق، ص108.

خاصة غير يسيرة ومنهم من يعطيها لطلاب العلم [1]. حيث يقول أحمد بابا عن والدي أنه "كان جماعًا للكتاب، وافر الخزانة، محتوية على كل غالٍ نفيس، سموحًا بإعارتها" [2]، وذكر أيضًا عن شيخه الفقيه محمد بن محمود بغيغ الونكري أنه يبذل نفائس الكتب العزيزة لطلبة العلم،وأهله ولا يفتش عنها بعد ذلك ما كان من جميع الفنون، فضاع له جملة من كتبه، نفعه الله بذلك، وكان يأتي لبابه طلاب يطلبون كتبًا فيعطيها لهم، من غير معرفتهم من هم [3] ونجد بأنه مهتم بشراء الكتب ونسخها أو تحصيلها شراءًا، وكن يبذل الكتب النفسية لمن يرغب فيها دون السؤال عن إرجاعها[4] .

لقد كان للعلماء دور كبير في تأسيس المكتبات وتزويدها بالكتب، ومن أهم المكتبات التي كانت في تمبكتو هي المكتبات التي امتلكتها عائلة آقيت، فقد اشتهرت هذه العائلة بملكيتها للكتب والمكتبات الخاصة، فقد توفرت لأفراد هذه العائلة جميع العوامل التي ساعدتهم على اقتناء مجموعات كبيرة من الكتب والمخطوطات النادرة التي قد أودعوها إلى مكتباتهم الخاصة، وقد ورثوها بعضهم لبعض [5]. كما اقتنوا بعض كتبها من التجارة، ومما كان يجلبه الحجاج معهم من المشرق [6]، فقد حازوا هذه الكتب عن طريق الشراء من التجار الذين كانوا يحرصون على الإنجاح في هذه السلعة التي كانت تأتي بأرباح تفوق أرباح السلع الأخرى، ففي مدينة تنبكتو كانت تباع الكثير من الكتب المخطوطة التي تأتي من بلاد البربر عن طريق القوافل التجارية، فقد كانت تأتي الكتب و المؤلفات المغربية[7].

كما نرى أيضا أنهم قد حصلوا على بعض كتبهم عن طريق الإهداء، وذلك أثناء قيامهم برحلات للشرق لأداء فريضة الحج، فهناك كانوا يلتقون بمجموعة العلماء الكبار الذين كانوا يهدون إليهم كتبهم التي ألفوها أو الكتب التي كانوا يملكونها، وهذا مثلما أتى غيرهم من

---

[1]–عز الدين موسى: **دراسات إسلامية غرب إفريقية**، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1424هـ/2003م، بيروت، ص128.

[2]– السعدي: المصدر السابق، ص42.

[3]– نفسه: ص44.

[4]– أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج**، ج1و2، ص501

[5]–سوزي أباضة محمد حسن: المرجع السابق، ص155.

[6]– الغربي: المرجع السابق، ص556.

[7]– سوزي أباضة محمد حسن: نفس المرجع ، ص155.

العلماء[1]، كما حصل بعض أفراد هذه العائلة على الكتب عن طريق النسخ فهذا أحمد بن عمر ابن محمد أقيت قام بنسخ كتبه وكتب بخطه عدة دواوين وعددًا من الكتب [2]. ومن خلا هذا نشير إلى أهم الكتب النفسية، التي كانت هناك:

1-مكتبة أحمد بابا التنبكتي : فهي مكتبة هذا العالم الفقيه الذي ينتمي إلى عائلة أقيت، فكانت هذه المكتبة غنية بمئات المجلدات من أهم الكتب النفيسة، عظيمًا على جمع الكتب والمخطوطات، فأنشأ بذلك مكتبة علمية عريقة احتوت على مجموعة كبيرة من أنفس المصنفات وأهمها وأكثرها شيوعًا [3]، وقد قدر أحمد بابا مؤلفات مكتبية التي كانت أقل من مكتبات أسرته كتبًا وأهمية بألف وستمائة مجلد [4]، ذلك استفاد أخمد بابا التنبكتي من خزانة منصور السعدي في فترة وجوده بمراكش عام (1002-1016هـ/1593-1606م) فقد كانت الكتب تنهال عليه، وكان طلابه وأصدقائه يزودونه بما لديهم من الكتب النفيسة، وقد احتوت على ألف وتسعمائة مجلد واعتبر نفسه اقل عشرته كتبًا[5] .

2-**مكتبة الحاج أحمد** :أسسها أحمد بن عمر بن محمد التنبكتي الذي اشتهر بالحاج أحمد، سميت هذه المكتبة باسمه وقد عرف الحاج أحمد بالعلم والاعتناء بطلبته، فقد كانت مكتبته غنية بأمهات الكتب المتداولة والمشهورة في شتى فنون المعرفة [6]. فقد ورث عن جده لأمه الفقيه أند غمحمد وخاله الفقيه المختار النحوي عددًا من الكتب، لأنه قد حصل بعض أفراد أسرة أقيت على نسخ من الكتب عن طريق الميراث العائلي، واحتفظوا بها في مكتباتهم الخاصة، كما أفادوا بها غيرهم من طلاب العلم.[7]

---

[1]- الغربي: نفس المرجع ، ص557.

[2]- سوزي أباضة محمد حسن: نفس المرجع ، ص156.

[3]-سليماني يوسف: المرجع السابق، 165.

[4]- الغربي: نفس المرجع، ص557.

[5]- سوزي أباضة محمد حسن: نفس المرجع ، ص156-157.

[6]- سليماني يوسف: المرجع السابق، ص 166.

[7] - سوزي أباضة محمد حسن: المرجع السابق، ص156.

3- **مكتبة آل أقيت:** إن مؤسس هذه المكتبة العلمية الخاصة هو الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت، فقد اشتهر بالعلم وجمع الكتب النفيسة، وقد كانت مكتبته في غنية، حيث لجأ إليها طلبة العلم في مجال البحث والدراسة وهكذا كانت هذه المكتبة في طليعة مكتبات تنبكتو الخاصة [1]، فقد عرف بأنه كان جامعًا للكتب وافر الخزانة التي كانت تحتوي على كل نفيس، وكان يسمح بإعارتها، وقد ترك حوالي سبعمائة مجلد ورثها إبنه من بعده وزاد هو أيضًا عليها[2].

هكذا كان للمكتبات الخاصة لعلماء تنبكتو فضل في أنها حافظت على مجموعة كبيرة من الكتب التراثية والفقهية التي قدمتها إلى طلاب العلم، فقد توفر لديهم في تمبكتو رصيد متنوع من التراث الفكري والثقافي سواءًا من المغرب أو من المشرق داخل تنبكت، كما أن هذه المكتبات الخاصة ساعدت العلماء على الوصول إلى مرحلة ناضجة من التفكير أهلتهم للمشاركة في الحركة الفكرية. فساهموا في خدمة الثقافة العربية والإسلامية فتركوا للمكتبة العربية والإفريقية العديد من التأليف المتنوعة. [3] وأن بفضل هذه المكتبات ازدهرت حركة التأليف المحلي في القرن السادس عشر ازدهارًا كبيرًا في مختلف العلوم التي برعوا في تدريسها[4]

ثالثا: توليهم منصب القضاء و الإمامة.

استكمالا للبيوتات العلمية في نشر الثقافة العربية الإسلامية في مدينة تنبكت تبن مدى مساهمتهم الفعالة في تولي منصب القضاء والإمامة، فالقضاء هو أكبر المناصب الإدارية التي يتولاها العالم، و هي ملازمة لقيام دولة المؤسسات الإسلامية، بل كانت أثراً مباشر للإسلام. فعندما نشأت المراكز التعليمية في تنبكت و أقيمت بها المساجد و كثر فيها العرب و التجار و المسلمون و الفقهاء القادمون إليها، وجد منصب القاضي بها. [5]

---

[1] – سليماني يوسف: نفس المرجع ، ص 166.

[2] – عبد اله عبد الرزاق: المرجع السابق، ص341.

[3] – سوزي أباضة محمد حسن: نفس المرجع ، ص157.

[4] – عز الدين موسى: المرجع السابق، ص130.

[5] – مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص512.

يشترط في القاضي أن يكون عالماً فقيهاً متحلياً بالنزاهة و الورع، ولم يكن أحد يتقلد منصب القضاء إن لم يكن له خوفاً من الله، و تورعاً من خطورة المسؤولية أمام الله تعالى.[1]و قد كان القضاء في تنبكتو مبنياً على العادات و التقاليد المحلية، ومن الطبيعي أن أحكامه كانت مستمدة من الكتاب و السنة و الإجماع و القياس على المذهب المالكي.[2]

إنّ منصب القاضي عرف أيضا باسم " الخطيب " و هناك نص صريح لابن المختار يفيد بأن القاضي و الخطيب شيء واحد: " كان آسكيا يوم عزم على الخروج لملاقاة جودار قتالهم جمع أشياخ كاغ و أعيان جيشه و القاضي الخطيب و كبراء شهوده و سألهم عن الرأي و التدبير [3].و كان لقاضي تنبكت بالذات أهمية كبر، فهو الذي يقوم بتوليه الأئمة [4] و قد تعددت المهام التي تولاها القضاة في تنبكت.

فكان مهمتهم الإشراف على التعليم و بناء المساجد و مراعاة المساكين، وتولي أحوال المدينة مثل تسجيل المحررين من العبيد، و النظر في تقسيم لتركات و الميراث و النظر في الجرائم بين الناس و المنازعات، كما كانت تترك لهم مهمة العناية بإيواء الطلاب و توزيع الجرايات عليهم و على أساتذتهم، فكانوا يعينون المدرسين ويساعدون المحتاجين من الطلاب[5]

إن من أشهر القضاة الذين كانوا في تمبكتو و الذين كانوا ينتمون إلى البيوتات العلمية و نجد القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت، وقد مارس القضاء في تنبكتو [6]، لكي يحكم بين الناس بالعدل، وقد مكث في القضاء خمساً و خمسين سنة. [7] فقد تولى القضاء و كان عمره خمساً وثلاثين سنة، و

---

[1]– السعدي: المصدر السابق، ص44.

[2]– مهدي رزق الله أحمد: نفس السابق، ص522.

[3]– محمود كعت: المصدر السابق، ص149.

[4]– نفسه، ص09.

[5]– سوزي أباضة محمد حسن: المرجع السابق، ص166.

[6]– مقاديم عبد الحميد:المرجع السابق، ص 169.

[7]– سوزي أباضة محمد حسن: المرجع السابق، ص165.

اشتهر بالعدل و النزاهة والتزام الحق في الأحكام[1]. بالإضافة إلى ابنه محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت، فقد تولى القضاء بعد أبيه، [2] و قد كان عمره خمساً و أربعين سنة وقد مكث في القضاء حوالي سبعة عشر سنة، وقد اشتهر أنه كان ذي علم ة فهم وعقل.[3]

و قد تولى بعدهم العاقب بن محمد بن عمر بن محمد أقيت القضاء في تنبكت، حيث تصدر في القضاء و كان مسددا في أحكامه و صلباً في الحق و ثبت فيه. [4] و نجد أنه قد مكث في القضاء ثمانية عشر سنة، حيث اشتهر في هذه السنوات بعدله و اجتهاده. [5] و كان كان إذا رأى ما يكره يعزل نفسه عن القضاء [6]، و هناك قضاة غيرهم نجد أحمد بن عمر بن محمد أقيت كذلك كان القاضي في تنبكت. [7] بالإضافة إلى القاضي عمر بن محمود بن محمد أقيت عمل بالقضاء بعد التدريس، وقد أخذ القضاء عن والده في تنبكت في أخر يوم من محرم سنة 993هـ.[8] بالإضافة إلى أحمد بابا التنبكتي هو أيضا عمل بالقضاء في تنبكت.[9]

إن من خلال ذكر القضاء الذين كانوا في تنبكت نرى أنهم من أسرة واحدة و هي أسرة أقيت، فقد كان منصب القضاء من أهم المناصب التي تولتها هذه العائلة وقد توارثوه مدة طويلة هناك. فقد استمروا في هذه المناصب طيلة القرن العاشر الهجري، السادس عشر ميلادي، ويرجع الفضل كله إلى أسكيا محمد فهو أول من نصب في تنبكت و في كل مدينة

---

[1]–الغربي: المرجع السابق، ص516.

[2]– أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج**، ج1وج2، ص597.

[3]– سوزي أباضة محمد حسن: نفس المرجع، ص165.

[4]– الغربي: نفس المرجع، ص518.

[5]– سوزي أباضة محمد حسن: نفس المرجع، ص165.

[6]– أحمد بابا التنبكتي،: **كفاية المحتاج**، ج2، ص377.

[7]– أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج**، ج1وج2، ص597.

[8]–البرتلي: المصدر السابق، ص 178.

[9]– مقاديم عبد الحمد: نفس المرجع، ص 172.

تستحق قاضيا. فقد كان قاضي تنبكت يتمتع بمكانة عالية نظرا لما تمثله هذه المدينة من مكانة تجارية وثقافية و لهذا يعتبر قاضيها من أكبر القضاة و له حرمة خاصة.[1]

و أيضا من ضمن المناصب التي مارستها العائلات نجد منصب الإمامة، فقد تأتي الإمامة في لمرتبة الثانية بعد القضاء، و كانت مهمة الإمام هي إمامة المصلين في الصلاة بالمسجد، و في صلاة الجمعة خاصة، و عندما يترقى الإمام يتولى منصب القاضي، و قد تتم تولية هذا المنصب باتفاق أعيان المدينة أو البلدة. كما يحدث في منصب القاضي، و قد كان تعيين الإمام على يد القضاة، و قد كانت هذه الوظيفة شبه وراثية في بعض العائلات العلمية في تنبكت، و نجد هذا في عائلة أقيت كانت تتولى منصب الإمامة بالتوارث. [2]

و من أشهر العلماء الذين تولوا منصب الإمامة نجد القاضي محمود بن عمر بن محمد فقد تولاها بعد إذن من الفقيه أبي عبد الله أندغمحمد بن الفقيه المختار النحوي. [3] ثم تولاها الفقيه محمد بن الفقيه محمود، ثم العقب بن محمود بعد أن كلفه بها أسكيا داود فجمع المرتبتين (القضاء و الإمامة)، حيث اشتهر بأنه كان من العلماء الدائمين على العمل، ثم تولي بعده الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه محمود.فهو آخر من تولى القضاء في هذه العائلة.[4]

و هناك أئمة آخرين من بينهم نجد الفقيه محمود بغيغ الونكري، الذي تولى الإمامة في تنبكتو بعد القاضي عمر أقيت، [5] و نجد أيضا أبو القاسم التواتي هو أيضا تولى الإمامة في تنبكت، وقد بني داراً لقرب من المسجد الأعظم، وقد كان الأسقيا يصلي وراءه و يطلب دعاءه[6]، و بعد وفاته طلب جماعة من السكان من القاضي أن يجعلوا ابنه في مكان الإمامة الإمامة لوالده. و قد أخذ مكان أبيه.[7]

---

[1]– سوزي أباضة محمد حسن: المرجع السابق، ص 164.

[2]– مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص526.

[3]– الغربي: المرجع السابق، ص 516.

[4]– سوزي أباضة محمد حسن: نفس المرجع، ص 164.

[5]– مقاديم عبد المجيد: المرجع السابق، ص 178.

[6]– الغربي: نفس المرجع، ص515.

[7]–مقلاتي عبد الله، المرجع السابق، ص60.

هكذا كان لبعض أفراد العائلات العلمية دور في تولي منصب الإمامة، ورغم ذلك فقد ظهر منهم من كان يرفض الإمامة مثل الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت الذي طلب منه الإماء في الجامع بالناس فرفض ذلك [1]، وكان هناك من كان يطلب الإمامة و هذا ما فعله أحمد بن عمر بن محمد أقيت.[2]

المبحث الثاني: حركة التأليف للبيوتات العلمية.

أولاً: عائلة أقيت.

لقد ساهمت عائلة أقيت في الحركة الفكرية في تنبكت عن طريق قيامهم بتأليف كتب مختلفة، سواء في الفقه أو اللغة أو التراجم أو التاريخ أو التصوف، و كان لهم بعض الرسائل و التعاليق، فكان لهم مؤلفات كتبت و جمعت و تداولها الناس، لكن بعضها فقد عندما تعرضت البلاد للحملة السعدية، ولعرفة العلوم التي ألقوا فيها هذا التأليف نجد ن مؤلفاتهم لا تنعزل عن البيئة الثقافية لتي تشبعوا بثقافتها فكان لانتمائهم للمذهب الإمام مالك اهتموا اهتماما كبير في تأليف المختصرات و الشروح و الحواشي و التعاليق على مؤلفات هذا المذهب.

فقد كتب الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر أقيت(991هـ/ 1583م) كتب تعاليق على شراح الخليل مثل تعليقه على ما كتبه محمد إبراهيم التنائي [3]و كان لأحمد بابا أيضا شروح تعليقات حول هذا المختصر، فقد وضع شرحاً جمع فيه خلاصة كلام كل من وقف عليه من شراحه، وقد أخذ هذا التعليق الفقيه إبراهيم الشاوي و نقل مننه دروسه، و كانت أهم الاختصارات و التعاليق لأحمد بابا هو تعليقه على ما كتب الفقيه العاقب بن عبد الله الأنصمني المسوفي " خصصت نية الحالق: اختصره و سماه " تنبيه الواقفعلى تحرير و خصصت نية الحالف" كما كان له كتاب بعنوان " أنفس الأعلاق في فتح الاستغلاق من فهم ككلام خليل في درك الصداق"[4] و كذلك كان له مؤلف في المختصر بعنوان " أسئلة في

---

[1]– سوزي أباضة محمد حسن: المرجع السابق، ص167.

[2]– البرتلي: المصدر السابق، ص27.

[3]– أحمد بابا التبكتي: **نيل الإبتهاج**، ج2، ص 171– 171– 252.

[4]– أحمد بابا التنبكتي: **كفاية المحتاج**، ج2، ص 202. [4]– نفسه، ص47

في المشكلات"[1] و هو يحتوي على ستة و ثلاثين إشكالا فقيها وجهها أحمد بابا التنبكتي إلى مفتي المالكية في مصر الفقيه سالم السنهورى(1015هـ/ 1202م).[2]

و كان لأحمد بابا التنبكتي أخر مشاهير عائلة أقيت مؤلفات أخرى فقهية هامة و مشهورة منها:

- تنبيه الواقف على تحرير و خصصت نية الحالف.
- دور الوشاح في فوائد النكاح.
- ترتيب جامع المعيار للونشريسي.
- تعليق على مواضيع من ابن الحاجب.
- جواب عن القوانين العرفية التي استعملها بعض الأهالي في جبال الأطلسية المغربية لمحاكمة قطاع الطرق.
- مسائل علماء مصر.
- أنفس الاعلاق في فتح و استغلال من كلام خليل في درك الصداق.
- الزند الوردي في مسألة تخيير المشتري.
- اللمع في إشارة إلى حكم التبغ.
- معراج الصعود في حكم مجلوب.[3]

كذلك كان لأحمد بابا ردود حول مسائل وردت إليه على شكل أسئلة حول مسألة الرق و أيضا بيع الكتب و بيع الحطب.[4]

---

[1]- نفسه، ص47

[2]- السعدي، المصدر السابق، ص44.

[3]- عبد العزيز عبد الله، **ملاحق الموسوعة المغربية لإعلام لبشرية**، مجلة المتاهل، العدد 36، 1976، الرباط..

[4]- الهادي مبروك دالي، **التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء**، ص 177.

و كان لهذه العائلة مؤلفات في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، فكان لأحمد بن أحمد بن عمر أقيت (991هـ/1583م)، مؤلف يسمى " مخمسات العشرينات الغازارية في مدح الرسول".[1]

و كان لأحمد بابا مؤلفات في مدح النبي منها:

- الدر النضير في ألفاظ الصلاة على البشير النذير.
- خمائل الزهر في كيفية الصلاة على سيد البشر ألفه عام (1014هـ/ 1202م).
- نشر العبير بمعاني آية الصلاة على البشير النذير، ألفه عام (1014هـ/ 1202م).[2]

أما علم اللغة و آدابها فقد حظي باهتمام من جانب هذه العائلة، إذ ألف محمد بن عمر ابن أقيت حاشية القيومية على الأرجوحة، و شمل هذا الشرح مواضيع مختلفة.[3]

و من العلوم التي ألفوا فيها أدب التراجم، فقد اهتم أحمد بابا بن عمر أقيت (942هـ/1032م) بكتابة التراجم و لكنه لم يكمله، ثم قام أحمد بابا التنبكتي بالكتابة عن تراجم الفقهاء المالكية مثل كتابة " نيل الابتهاج بتطريح الديباج" و كتابه " كفاية المحتاج لمن ليس بالديباج" فقد كتبه قبل نفيه لمراكش، كما كتب أيضا: " الألي السندسية في الفضائل السنوسية" في عام (1004هـ/ 1595م).[4]

و حظي مجال التاريخ باهتمام فقد برع أبو حفص القاضي عمر في علم السير و التواريخ و أيام الناس و لكنه لم يترك مؤلفا، أما أحمد بابا التنبكتي فقد ترك مؤلفا بعنوان " دور السلوك بذكر الخلفاء و أفاضل الملوك".[5]

---

[1]- السعدي، المصدر السابق، ص42-43.

[2]- البرتلي، المصدر السابق، ص 114.

[3]- التنبكتي أحمد بابا: **نيل الإبتهاج** مصدر السابق، ص332.

[4]- البرتلي: المصدر السابق،ص

[5]- الأرواني **جواهر الحسان في أخبار السودان** ، المرجع السابق، ص47.

كذلك كان لأحمد بن أحمد بن عمر أقيت (991هـ/ 158م) شرح علي منظومة الميغيلي في المنطق في كتاب سماه " مناخ الأحباب من منح الوهاب" و كانت له مباحث في هذا الكتاب.

ومن ضمن ما كتبه عائلة أقيت الفتاوي، فقد ذاعت شهرة أحمد بابا في كتابه الفتاوي الفقهية:مثل فتواه في معراج الصعود لنيل مجلوب االسود وفتواه حول حكم إنتشار التبغ.

أما إذا قيمنا إسهامات هذه العائلة في مجال التأليف فنجد أن طبيعة مؤلفاتهم لم تكن تختلف عما كان سائدا من مؤلفات الفقهاء و العلماء الآخرين في ذلك العصر، إلا أنها حازت مؤلفات هذه العائلة على الكثير من الإقبال فسعى لطلبها العلماء وطلاب العلم.[1]

هكذا نجد أن عائلة أقيت قد أسهمت في حركة التأليف الذي شهدته مدينة تنمبكت وكان لأخر مشاهير هذه العائلة هو أحمد بابا مؤلفات كثيرة وهي باقية للمؤلفات هذه العائلة.[2]

ثالثا: عائلة أندغ

لعب علماء آل أندغ دورا بارزا في تأليف بعض الكتب والرسائل غير أن جزء منها مهما من ذلك الإنتاج العلمي لحقه ما لحق مؤلفات علماء المنطقة [3]. ومن مؤلفات آل أندغ محمد التي تسمى للباحث الحصول عليها المخطوطة التي كتبها الفقيه محمد بابا بن محمد أمين بن حبيب الله أندغ محمد بن الفقيه المختار النحوي ((981-100هـ/1573-1652م)) التي عنونها: " المنح الحميدة في شرح الفريدة، وهي عبارة عن شرح لألفية السيوطي في النحو،

وقد كان شرحا غريبا مفيدا على رأي صاحب" فتح الشكور[4].

---

[1]- عبيد وناس، **تنبكتو وأثرها الحضاري**، ص15

[2]-عبيد وناس: نفس المرجع، ص18.ص20.

[3]-البرتلي : المصدر السابق، ص111.ص112

4 -التنبكتي، محمد بن محمد أمين بن حبيب الله ابن **الفقيه المختار النحوي المنح الحميدة في شرح الفريدة مخطوط** مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية، تنبكت(مالي) رقم 429 ورقة

ومما ورد فيها ما نقله حول رحلة الأسكيا محمد الكبير ((899-934هـ/1493-1528م)) إلى الحج التي لقي فيها أعلام الإسلام بمصر والحجاز والمغرب، وقد التقى بكل من الإمام عبد الرحمن السيوطي ((849-111هـ/1388-1503)). والإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ((790-909هـ/1388-1503)) واستقامتها في المسائل الدينية وقد تحدث صاحب المنح الحميدة في شرح الفريدة عن لقاء الأسكيا محمد الكبير مع الإمام السيوطي أثناء مروره بمصر فقال: "...فلما دخل مصر أمير المؤمنين الأسكيا الحاج محمد قاصدا الحج واجتمع معه (السيوطي) وسأله عن أشياء وألف له الأحاديث المتفقة في فضل السلطة، ذكر في أوله أنه جعله تحفة لسلطان الملوك الصالح العادل المجاهد المرابط القائم بالحق الناطق بالصدق ملك التكرور أسكيا نصره الله و نصر به الدين وقطع بسيفه رقاب الملحدين و نشر به لواء العدل في العالمين فلقد حسنت سيرته و طابت سريريه و نفس الله به عن عباده بعد سني علي [1]. و من مؤلفات لفقيه محمد بابا بن محمد أمين بن أندغ بن محمد التي أوردها المصادر التاريخية تكملة البخار، وشرح شواهد الخزرجية و قطع على مقامات الحريري، و حاشية على البخاري لم يكملها و قصائد جباد في الأمداح النبوية.[2]

أما عن تاريخ وفاته هناك اختلاف فالسعدي يقول: أنه توفي عام 1014هـ /1605م عن عمر يناهز 82 سنة[3] و الأوراني يرى أنه توفي عام 1044هـ/1634م حيث أ السعدي يورد أنه عاش 82 سنة و هو من مواليد 981هـ/ 1527م، فالأصح أن يكون توفي عام 1063هـ/1652م و من علماء أندغ محمد الدين تركوا العديد من الأثار العلمية الفقهية أندغ محمد[4] صاحب الشرح الذائع الصيت للأجرومية في النحو و التي سماها:" الفتوح القيومية في شرح و قد طبع هذا الشرح على الحجر في فاس بالمغر، و كتب الشيخ المهدي

---

[1]– مطير سعد غيث، **الإسهامات الثقافية لمشاهير العوائل في السودان الغربي آل أندغ محمد نموذجا**، كلية الأدب والتربية، جامعة الزيتونة ، ص4.

[2]–البرتلي: المصدر السابق، ص112.

[3]–السعيدي ، **تاريخ السودان** ص217، البرتلي، المصدر السابق، ص111.ص112.

[4]–الأرواني، السعادة الأبدية

الوزاني حاشية عليه، كما أن العلامة محمد بن عبد المجيد أقصى حاشية عليه، و هذا كله يترجم مدى أهمية هذا الشرح بين شروح الأجرومية[1].

ثانيا: عائلة بغيغ

كان لبعض علماء بغيغ مساهمة في الحركة الفكرية والتأليف في تمبكت في مختلف المجالات مثل اللغة أو التراجيم االتاريخ أو الفقه وتغير حيث نجد محمد بن محمد بغيغ الونكري (1002هـ) –الذي أمضى جل وقته في أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى، ويعتبر شيخ وأستاذ القاضي أحمد بابا التنبكتي صاحب التصانيف العديدة منها علوم التفسير [2] الذي كان مبررا فيها ولقد أخذ عنه خلقا كثير، ومن أبرز طلاب الفقيه محمد بغيغ الونكري تمبكتي بعد العلامة أحمد بابا التنبكتي سيد أحمد بن آل السوفي كان بارعا في فنون عدة منها التفسير واللغة والحديث متقنا فيها [3]، ونجد كذلك القاضي محمد بن محمود بغيغ الذي كان بارعًا في معظم العلوم ومنها علم الحديث وقد اشتهر بقدرته على التدريس حتى نال الخطوة وتخرج على يد ثلاثة من العلماء[4].

كما إهتم القاضي محمد بن محمود بغيغ بالفقه حيث يعتبر هو أول من أدخل كتاب القاضي محمود بن عمر أقيت شرح على المحترفي جزئين ، قرأ عليه المختصرات مرات عديدة له مشروع وتعليقات على المختصر توجه فيها الإستدراك على المؤلف فنيه فيها على ما وقع فيه من الأغلاط[5].

وكان بغيغ محمد بن محمود له عدة إسهامات في الكثير من مجالات منها علم الكلام والعقيدة حيث وضع نظم على مؤلفات السنوسي إلى تمبكتو في وقت مبكر، واهتموا أيضًا

---

[1]– البرتلي **فتح الشكور** ص11.

[2]–السعدي المصدر السابقص43.ص45.

[3]– حاجي خليفة: **كشف الظنون على أسامي الكتب والفنون** ج2 مكتبه المثنى بيروت لبنان، د.و.ت.ط، ص427–428.

[4]–مطر سعيد غيث: المرجع السابق، ص11.

[5]– التنبكتي أحمد بابا: **نبيل الإبتهاج** مصدر سابق، ص341.

بالتاريخ والسير والتراجم وعلوم اللغة العربية وآدابها حيث أخذ وفيها إجازات والشروح والتعاليق على الكثير من المصادر اللغوية ناهيك عن الشعر وأضربة.[1]

المبحث الثالث: دور البيوتات العلمية في التواصل العلمي و الثقافي.

أولا: مع بلاد المشرق.

لعبت بلاد المشرق دوراً مهما في تنشيط الحركة العلمية في مدينة تنبكت نظرا لصلات الثقافة التجارة القائمة بين المشرق و السودان، و كذلك طريق الحج عبر مصر الذي يمر به الحجاج في بلاد السودان الغربي على توطيد العلاقات التجارية و الثقافية بين الممالك الإفريقية و أقطار المغرب العربي و مصر و الحجاز [2]، فكان العديد من الحجاج يغتنمون الفرصة أثناء ذهابهم إلى المشرق فيجالسون العلماء الكبار بمصر و الحجاز و كان بعضهم تطول إقامتهم لعدة سنين فلا يعدون إلى تمبكتو إلا بعد حصولهم على عدد كبير من الإجازات و لكثرة ورودهم على مصر أسست لهم إدارة الأزهر رواقا خاص بهم عرف برواق تكرور.[3]

كما اهتم الحكام بجلب العلماء و الفقهاء و ذلك من خلال رحلات الحج التي كانوا يقومون بها، فقد اصطحب منسى موسى (1313-1338م) بعد عودته من الحج عام (724هـ-1324م) العديد من العلماء و الفقهاء من بينهم العالم الفقيه عبد الرحمن التميمي الحجازي.[4]

الذي سكن تنبكتو و وجدوها حافلة بالفقهاء السودانيين الذين تفوقوا عليه المالكي فرحل إلى فاس و تفقه هناك وعاد إلى تنبكتو واستقر بها حتى وفاته [5] أما الأسقية محمد (1493-

---

1- أطروحة **دكتوراه القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي من أواخر القرن 9 حتى 12هـ(15م-18م)**

2- عبد الله عيسى، **التعليم في غرب إفريقيا خلال القرن 16م**، مجلة السيان، العدد 328، ث2004، ص16.

2- مريم باي و أخرون، **الدور الاقتصادي و الثقافي لمدينة تمبكتو خلال القرن 10هـ/ 16م**، مذكرة لنيل شهادة ليسانس بالمركز الجامعي بالوادي، معهد العلوم الإنسانية و اجتماعية، ص2012، ص75.

3- برتلي الولاتي أبو عبد الله الطاالب محمد بن أبي بكر الصديق: **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، محمد حجي، دار الغرب إسلامي، بيروت، 1961، ص176.

4- سحر عنتر محمد أحمد مرجان: فقهاء **المالكية و أثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهد مالي و سنغاي(628-100هـ/ 630-1591م) مكتبة الثقافة الدينية**، القاهرة، 2011، ص 234-235.

(1493-1528م) فقد اصطحب معه عند عودته من الحج عام (902هـ-1495م) العالم المصري جلال الدين السيوطي الذي استفتاه في المسائل الدينية و عينه مستشار عليه، و كان طلبة من جامعة سنكري يذهبون إلى الأزهر و مكة لدراسة الشريعة و الفقه حتى بلغت علومهم القمة.[1]

كما نجد أبو سالم عبد الله بن محمد ابن ابي بكر التنبكتي الذي رحل لأداء فريضة الحج و التقى بالعديد من العلماء المغاربة و المشارقة الذين أجازوه[2]،و قد ارتحل العديد من العلماء من أسرة آل أقيت من بينهم أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفي عام 942هـ/1535م ذهب لأداء فريضة الحج عام (890هـ/1485م) فلقى أعلام الفكر في مصر و على رأسهم الإمام جلال الدين السيوطي، و خالد الأزهري[3]. و كذلك هناك رسائل بين أحمد بابا التنبكتي أيضا و علماء مصر في فترة وجوده في مراكش فقد كان يرسل الكتب و الرسائل، و التي تحمل بعض من الأمور التي أشكلت عليه فهناك رسالة كن أحمد بابا كتبها قبل عام (1010هـ/1201م) إلى مفتي المالكية في مصر سالم السنهوري(1015هـ/ 1202م) تحتوي على ستة وثلاثين فقيها[4]، كما هو الحال مع الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد المتوفي عام (991هـ/ 1584م) الذي التقى بالناصر اللقاني المتوفي (985هـ/1001م) و جمال الدين بن الشيخ زكريا و الشيخ التاجوري و الأزهري [5] و هذا مما ساهم في تبادل العلماء بين المنطقتين بطور إرادتهم أو بطلب السلاطين اللذين لم يترددوا في تقليد العلماء مناصب مرموق، مما جعل المنطقة تحظى باهتمام المشارقة كما أن الكثير من طلبة السودان و علمائها رحلوا إلى المشرق لدراسة.[6]

---

[1]- مريم باي و أخرون، نفس المصدر، ص76.

[2]- مريم باي، مرجع سابق، ص76.

3- الحاج : **تاريخ تمبكتو منذ نشأتها إلى غايى القرن 11هـ دراسة ثقافية**، مجلة العلون إنسانية و اجتماعية، العدد 3، الجزائر، 2015، ص06.

[4]- محمد الغربي: **بداية حكم المغربي في السودان العربي**، الجزء الأول، مؤسسة الخليج، الكويت، ص223.

[5]- سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع السابق، ص141.

- عبد الرحمن ميفا: **الحركة العلمية في مدينة تنبكت خلال القرنين 9و 10 هـ**، مجلة دار الحديث الحسنية ، العدد 14، [6]المملكة المغربية، 1997، ص337.

ثانيا: مع بلاد المغرب الإسلامي.

يمثل المثقفون المغاربة العنصر الغالب في الحركة العلمية بتنبكت نظرا لقربها من المغرب، ولصلات المغرب الثقافية التي تربطها بالسودان و تمبكت على الأخص منذ وصول المرابطين الذين تاخمت مضاربهم الأولى في المنطقة على تنشيط حركة فكرية للمنطقة أدت حركتهم الإصلاحية في مطلع القرن الخامس الهجري إلى تدفق سيل الإسلام إلى المنطقة.[1]

كان لتنبكتو علاقات واسعة النطاق مع مدن المغرب و هي علاقات كان للملك منسى موسى (1313هـ/1338م) أول من وضع أركانها و تدعيمه، فكان يرسل كثير من طلاب العلم إلى مدينة فاس لتحصيل العلوم العربية الإسلامية [2] و منهم مالي بأمر من السلطان منسى موسى[3]، و قد توطدت العلاقات الثقافية بين تنبكتو و بلاد المغرب بشكل أكبر في عهد الأسقيين، حيث عرفت سنغاي كل المعارف التي توصل إليها العالم الإسلامي، سواء عن طريق الكتب التي ترد إليها بكميات كبيرة أو عن طريق التجار و الفقهاء و بدا الإنتاج و التبادل الثقافي فألفت العديد من الكتب في فروع الفقه، المنطق ، العروض، و النحو التاريخ باللغة العربية. [4]و هاجر الكثير من العلماء تنبكتو إلى مدن المغرب لطلب العلم. كفاس و مراكش و غيرها، منهم الفقيه مخلوف بن علي بن صالح البلبالي التكروري(بعد 940هـ) و محمد الفاسي و محمد بن علي الخروبي و الشيخ الحطب و غيرهم من رواد العلم.[5]

كما لعب أحمد بابا التنبكتي دورا في تفعيل التواصل بين المنطقتين كونه درس في دولة سنغاي و خارجها و ذلك في جامع الشرفاء بمدينة مراكش المغربية و كانت السنوات التي أمضاها في المغرب حافلة بالعمل و العلم أو التدريس و تتلمذ على يده الطلاب من

---

[1]– نفسه، ص336.

[2]– مريم باي و أخرون، المرجع السابق، ص 72.

[3]– سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع السابق، ص236.

[4]– مريم و أخرون، نفس المرجع، ص73.

[5]– الحاج سيرد: المرجع السابق، ص07.

مشاهير المغرب مثل: الركراكي مفتي فاس و القاضي صاحب جذوة الإقتياس و ذاعت شهرته حتى أصبح الحكام و أصحاب القضايا يتوجهون إليه بفتواهم و لقد أخذ عنه و انتفع صاحب كتاب نفح الطيب و غيرهم [1]، و خلال إقامته بها ترك عدد كبير من المؤلفات و الكتب التي جاءت ثمرة اجتهاده و منها نيل الابتهاج بتطريز الديباج.[2]

كما شجع الأسقيين الرحلات العلمية فكانوا يرسلون الطلبة إلى بلاد المغرب لدراسة خاصة للمغرب الأقصى، كما سعى الأسقيين لجلب العلماء و الفقهاء إلى تنبكتو و كان من بينهم محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي استطاع التأثير على الناس بواسطة علمه وقوة شخصيته في بلاد السودان الغربي، و اتصلفي غاو بالأسقيا الحاج محمد و تذكر معه جملة من المسائل الفقهية مثل أسئلة الأسكيا الحاج محمد و أجوبة المغيلي عليها [3]، و كان للمغيلي دوراً كبير في بلاد السودان الغربي حيث ترك أثر إسلاميا كبيراً و قام بتصحيح مفاهيم كانت الخاصة في أذهان العامة و السلاطين، وقضى على الكثير من البدع و الخرافات، كما كان أبو قاسم التواتي أكبر العلماء التواتين الذين سكنوا تنبكتو و درسوا بها إضافة إلى الشيخ هو بالحاج التواتي [4]، و الفقيه أبو الأنوار بن عبد الكريم التنلاتي، كما استفاد بعض العلماء التواتين من تلك الحركة العلمية التي شهدتها تنبكتو في القرنين 9-10هـ/ 15-16م.[5]

ثالثا: مع شعوب غرب إفريقيا جنوب الصحراء.

لقد كان لمدينة تنبكتو علاقات ثقافية علمية مع شعوب غرب إفريقيا جنوب الصحراء، ونقصد بها مع المدن المجاورة لها، وقد كان لها علاقات واسعة النطاق مع هذه المدن، وقد كان ازدهار حركة التجارة بينهم من العوامل التي ساعدت على ازدهار الحركة العلمية فيها [6]

1- بدر الدين محمد بن يحى بن عمر القراني: **توشيح الديباج و جلبة**، علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1424هـ/2004م، ص23

2- مريم باي و أخرون، المرجع السابق، ص 74.

3- محمد الغربي، المرجع السابق، ص514.

4- مريم باي و أخرون، المرجع السابق، ص74.

5- لا يوجد تهميش

6- مريم باي و أخرون، نفس المرجع، ص78.

و من بين هذه المدن المجاورة نجد : جني، كانو، وبرنو، و أقذر [1] و غيرها من المدن المجاورة لها.

لقد اتسعت جني لكل الوافدين من تجار و علماء و مدرسين و دعاة، و قد ظهر بها الكثير من العلماء و الفقهاء التنبوكتيو، وقد كانت بين تنبكت و جني علاقة علمية بفضل علمائها.[2] و من بين هؤلاء العلماء التنبكتيون الذين سكنوا جني القاضي محمود بن أبي بكر بغيغ قد سكنها في عهد الأسقيين و غيره من العلماء.

أما بالنسبة لمدينة كانوا في أيضا قد استقر بها علماء تنبكتيون و قد كان العلماء كثيرين الترحال من أجل العلم، فنجد أن محمد بن أحمد التازختي قد سكن بكانوا، فقد كان فقيهاً عالماً حضر الدروس عبد الكريم المغيلي في مدينة تكدة، ثم رحل إلى المشرق، وقد التقى هناك بشيخ الإسلام زكريا القلقشندي و توفي عام 936هـ/1589م، عن عمر يناهز 60 سنة.[3]

هكذا برز دور هؤلاء العلماء في مدينة تمبكتو و بالأخص في نشر العلم و الثقافة العربية الإسلامية، وكان تأثير على المجتمع التمبكتي.[4]

---

[1]– أقدر وهي بلدة تقع بتخوم البلاد الليبية و بنيت خلال القرن الحادي عشر ميلادي، مرمول كربخال، المصدر السابق، ج3، ص206.

[2]– عبد الله سالم محمد بازينة: **انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء**، دار الكتب، بنغازي، ليبيا، د.س، ص142.

[3]– مقاديم عبد الحميد: المرجع السابق، ص178.

[4]– أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج**، ج1 و ج2، ص588.

الخاتمة

الخاتمة

بعد دراسة موضوع البيوتات العلمية في تمبكتو خلال القرن 16م وإسهاماتها الحضارية، اتضح لنا بأن مدينة تمبكتو حاضرة ثقافية من حواضر الإسلامية ببلاد السودان الغربي، وهذه الحقيقة أكدها وزنها الثقافي، والبيوتات العلمية التي كانت متواجدة بها أهلها بأن تبرز دورا حضاريا وعلميا في القرن 16م وهذه الدراسة توصلنا إلى نتائج التالية:

-تميزت تمبكتو بموقعها الإستراتيجي المهم في ملتقى الطرق التي تمر بها للقوافل التجارية عبر الصحراء وهذا ما ساعدها على أن تصبح من أهم المراكز الحضارية الكبرى في بلاد السودان.

-لقد تواجدت مجموعة من البيوتات العلمية في تمبكتو التي ساهمت في ازدهارها الثقافي أهمها عائلة ال أقيت التي لعبت دورا هاما في تأليف الكتب في كافة المجالات، منهم أحمد بابا تمبكتي.

وعائلة أل بغيغ التي ساهمت في الحركة الفكرية في تنبكت إلى جانب عائلة أل أندغ و التبلبالي وتواتي.

-ساهمت الأسر العلمية في مواصلة قيس العلم والمعرفة وزيادة توهجها من خلال جهودهم في التعليم والإمامة والقضاء ولم يقتصر دورهم على هذا فقط وإنما كان لهم دورا بارزا في حركة التأليف وتكوين مثل المكتبات والمساجد والمدارس.

-كان لعشرة هذه البيوتات العلمية في أن عرفت بحضارة إمبراطورية صنغاي وعاصمتها الثقافية تمبكتو في الأقطار الإسلامية مشرقا ومغربا.

-ساهم علماء هذه البيوتات في التواصل العلمي والثقافي من خلال ربط علاقات ثقافية وسياسية مع ممالك ودول الجوار شمالا وجنوبا من خلال إرسال طلباتهم واستقبال آخرين

الملاحق

الملحق رقم01: خريطة اهم المراكز الحضارية في السودان الغربي

الملحق رقم02: توضح الموقع الجغرافي لمدينة تمبكتو على حافة نهر النيجر

الملحق رقم03: احد المنازل بتنبكت

الملحق رقم04: جامع سنكري

الملحق رقم05: مسجد سيدي يحيى

الملحق رقم01: خريطة أهم المراكز الحضارية في السودان الغربي

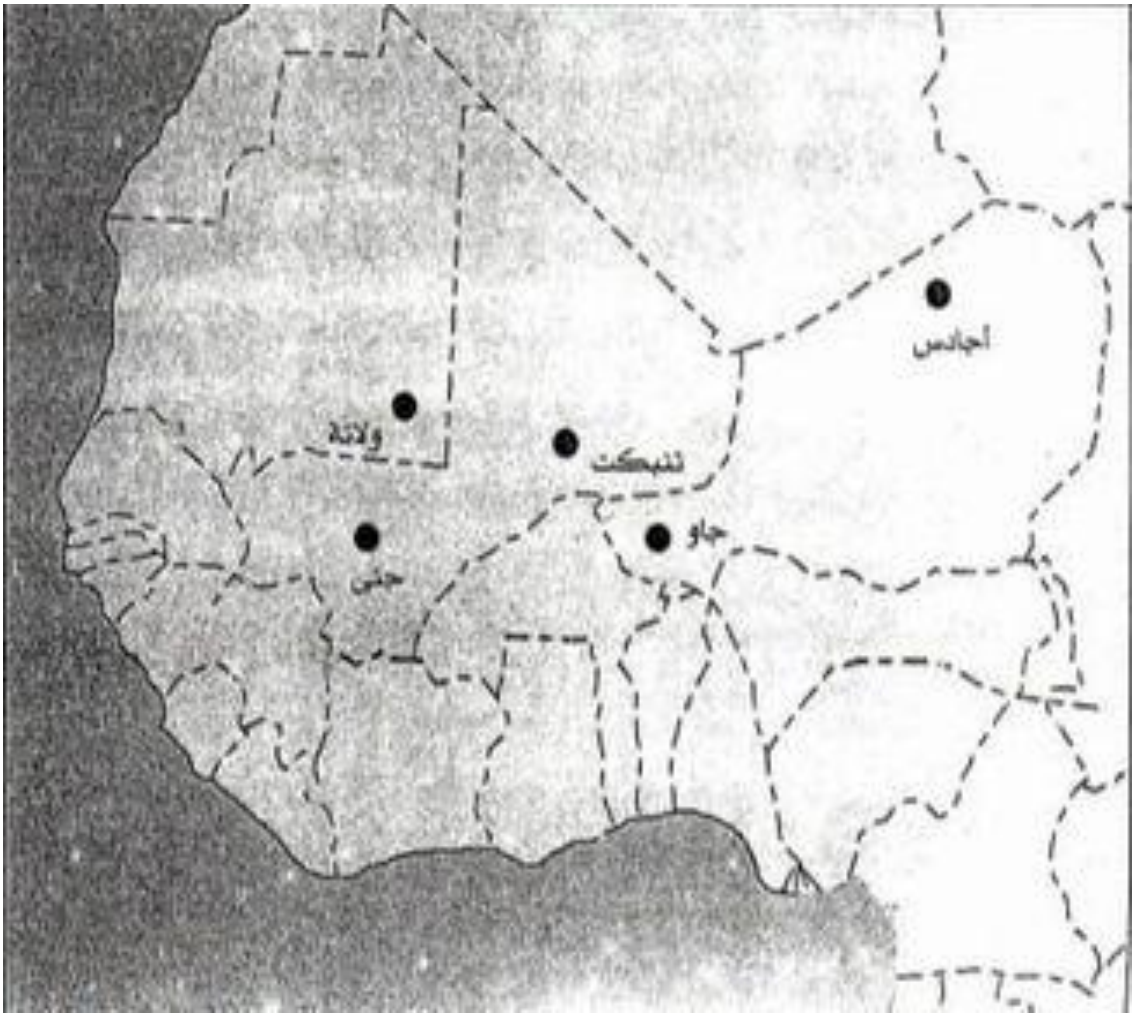

سعد مطير غيث : المرجع السابق ،ص 41

الملحق رقم 02: توضح الموقع الجغرافي لمدينة تمبكتو على حافة نهر النيجر

مريم باي و آخرون : المراجع السابق، ص83

الملحق رقم 03: احد المنازل بتنبكت

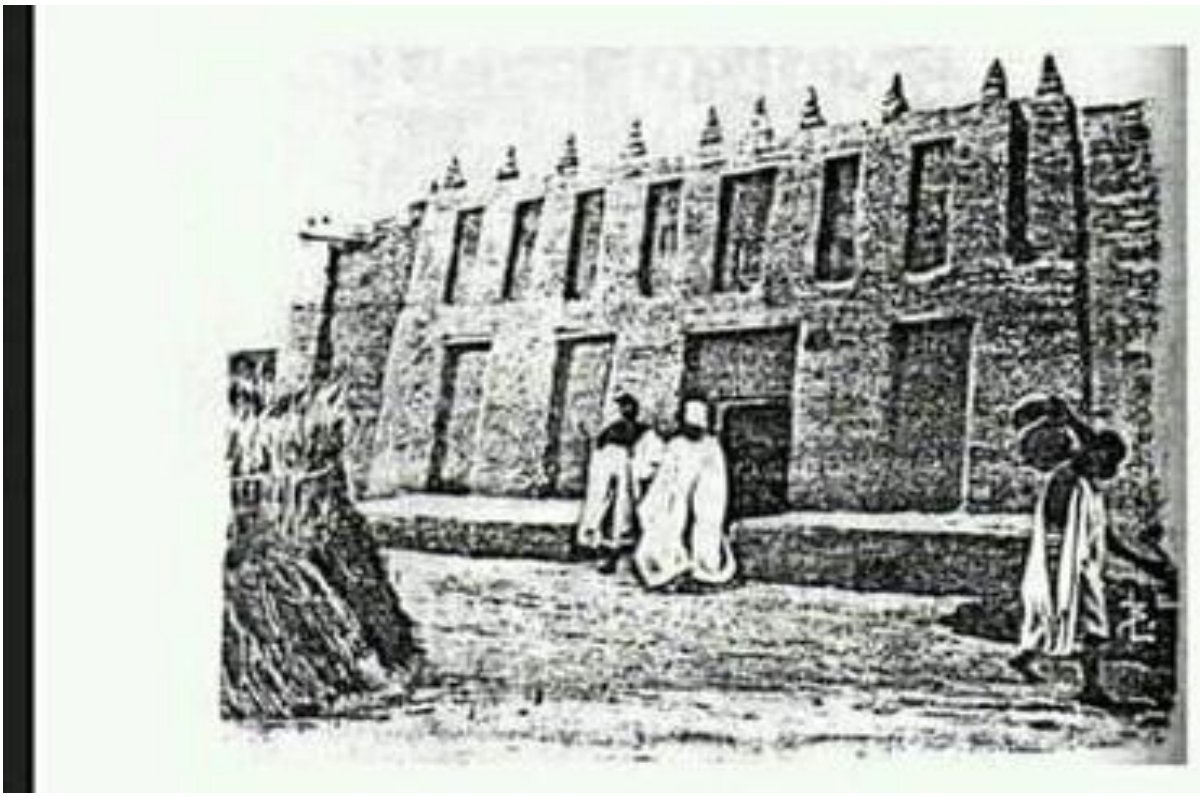

فيليكس ديبوا : المرجع السابق ،ص 341

الملحق رقم 04: جامع سنكري

عصمت عبد اللطيف دندش : المرجع السابق ، ص163

الملحق رقم 05: مسجد سيدي يحيى

الموقع الالكتروني :الجزيرة نت

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع باللغة العربية:

القرآن الكريم:

أولا: المصادر:

أ – العربية والمعربة:

1. الأرواني أحمد بابير: السعادة الأبجدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، تح: الهادي المبروك الداي جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، بنغازي، 2000م.
2. إبن بطوطة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم: رحلة إبن بطوطة تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مطبعة الأزهرية، ط1، ج4، مصر، 1928.
3. إبن حوقل: صورة الأرض، دار المكتبة الحياة، ج1و2، بيروت، 1992م.
4. إبن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عناصرهم من ذوي الشأن الأكبر مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، ج 5، د.ب 1332-1406م.
5. إبن منظور: لسان العرب، دار المعارف،ج4، 1980.
6. أحمد بابا التمبكتي: (943هـ/1584م)، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج2، 2000م
7. أحمد بابا التنكتي: نيل الإبتهاج بتطويز الدباج، منشورات الدعوة الإسلامية، ط 1 ج1وج2، طرابلس، 1989م.
8. البرتلي الولاتي أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر: فتح الشكور في معرفة علماء تكرور، تح: محمد حجي، محمد إبراهيم الكتاني، دار العرب الإسلامييبيروت 1981م.
9. المقريزي تقي الدين: الذهب المسبوك في معرفة من حج الملوك ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2000م.
10. الوزان حسن: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار العربط2 القاهرة 2003.
11. السعدي عبد الرحمان: تاريخ السودان، السيد هوداس باريس، 1981م.
12. العمري إبن فضل الله شهاب الدين أحمد يحي، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: حمزة أحمد عباس، المجتمع الثقافي، أبو ظبي، ط2002،1.
13. ديبوا فليكس: تمبكت العجيبة، تر: عبد الله عبد الرزاق، المجلس الأعلى للثقافة ط1، القاهرة، 2003م.
14. القرآن الكريم.

15. كعت محمود: تاريخ لفتاش في أكابر البلدان والجيوش وأكابر الناس، هوداس دولافوس، 1964م.

ب- باللغة الأجنبية:

1-Caillié René doural d'unvayageatamboctou et a jenné dans l'Afrique centraies tome2, édition anthraops, paris .

2- Henri Barth: voyege en Afrique septentriomale et centrale pendante, les années 1849 a , traduction de l'almand par , paul Ithier, edité pour , A. Bolvie, lilrairie Paris.

ثانيا: المراجع:

أ - العربية والمعربة:

1. الأوراني محمود محمد ددب التنبكتي ا: من تراث تمبكتو والساحل الإفريقي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، الرباط، 2011م
2. باري محمد فاضل علي ، سعيد إبراهيم كريدية، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2007.
3. بازينة عبد الله سالم محمد: إنتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، دار الكتب، بنغازي، د،س.
4. بوعزيز يحي: تاريخ إفريقيا العربية الإسلامية، دار البصائر الجزائر.
5. جوزيف جوان ، الإسلام في المماليك وإمبراطورية إفريقيا السوداء، تر، مختار السويفي، دار الكتاب المصري، ط1- القاهرة، 1404هـ /1984م.
6. خليفة حاجي: كشف الظنون عند أسامي الكتب والفنون، ج1، مكتبة المتنبي، لبنان، د،س .
7. الدالي الهادي المبروك: التاريخ الحضاري لإفريقيا السوداء، تر: مختار السويفي، دار الكتاب المصري، ط1، القاهرة، 1984م.
8. الدالي الهادي المبروك: التاريخ السياسي والإقتصادي لإفريقيا ما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس إلى بداية القرن الثامن، ط1، القاهرة، 1999م.
9. الدالي الهادي مبروك ، مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا من القرن 13 حتى القرن 15، دار الملتقى، ط1، بيروت، 1993.
10. دندش عصمت عبد اللطيف: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 1038-1121م، دار العرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988.

11. رزق الله أحمد مهدي: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقيا قبل الإستعمار وآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1 الرياض، 1998م.
12. سحر عنتر محمد أحمد مرجان: فقهائ المالكية وأثرهم في مجتمع السودان الغربي في مالي وسنغاي(628-100هـ /630-1591م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2011م.
13. سعد مطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2005.
14. سعيد مطير غيث، الإسهامات الثقافية لمشاهير القوافل في السودان الغربي، آل أندغ نموذجًا.
15. سوالمية محمد عبد الرحمان ، تمبكتو جوهرة تغمرها الرمال، مطبعة المتوسط، ط1، بيروت، دت.
16. شعباني نور الدين: دراسات في تاريخ الإسلام والأسر الحاكمة في إفريقيا جنوب الصحراء، دار نور للنشر، د، ب، دـ ت.
17. شكري أحمد: الإسلام والمجتمع السوداني لإمبراطورية مالي، ط2، المجتمع الثقافي أبو ظبي، 1999م.
18. عبد العزيز كطزت، التنصير والإستعمار في إفريقيا السوداء، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط2، طرابلس، 1992.
19. عبد القادر زيادية: مملكة سنغاي في عهد الأستعيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1 الجزائر، دس.
20. علي محمد عبد اللطيف: تمبكتو أسطورة التاريخ، دار الكتب الوطنية، ط1، 2001م.
21. الغربي محمد: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ج1، مؤسسة الخليج، الكويت، 1982م.
22. الفيتوري عطية مخزوم: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء لمرحلة إنتشار الإسلام، دار الطتب الوطنية، ط1، بنغازي، 1988.
23. قداح نعيم: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مراجعة: عمر الحكيم، مديرية التأليف والترجمة نيويورك، د،ت.
24. مارمول كربخال: إفريقيا ، تر: أحمد التوفيق، دار النشر للمعرفة، الرباط، ج3، 1988-1989م.

25. مقلاتي عبد الله، جعفر مبارك، معجم أعلام توات،منشورات الرياض، الجزائر، 2012م.
26. موسى عز الدين: دراسات الإسلامية غرب إفريقية، دار الغرب الإسلامية، ط2، بيروت، 2003م.
27. مولا علي: الموسوعة العربية المسيرة، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، ج2، 2010م.
28. نياني: ج، ت: تاريخ إفريقيا العام القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، ج4، باريس، 1988م.
29. وناس زمان عبيد ، تمبكتو وأثرها الحضاري في العصور الوسطى الإسلامية المتأخرة، دار الأيتام، د،ط، د، ت.

ب باللغة الأجنبية:

1. Kati Mahmoude: trikh El fettach, traduction: O, haudaslt M: Delafos. Édition : Ernest t'eroux éditeur, Paris, 1913.
2. Mohmoud A. Zouber: Ahmed balra de Tombouctou, (1556_ 1627), et son veurreMaisonneurlarose, Paris, 1976.
3. Sékéne (M.C), « luvacationcultrrelle de tombotou à l’unité de monde ». inrevue le culture Africante , 21 juillet ,1 .out 1969 .
4. Tleiminghnn j-s: Islam in westAfrica, Londion, 1976.

ثالثا: المجلات والمقالات العلمية.

1. الفيتوري محمد: "الجاليات العربية المبكرة في السودان دراسة أولية وبعض الملاحظات"، مجلة البحوث التاريخية، العدد2، 1981.
2. جاخانتي قاسم: "المخطوطات الإفريقية المكتوبة بالعربية ودورها في التعريف بالتراث الإسلامي في غرب إفريقيا أحمد بابا التنبكتي نموذجًا"، مجلة الرفوف، العدد الأول، جوان 2013.
3. الحاج بشير: "تمبكتو منذ نشأتها إلى غاية القرن الحادي عشر الهري، دراسة ثقافية"، مجلة جيل العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد الثالث، تيزي وزو، الجزائر، 2015.
4. زبادية عبد القادر:"حركة التعليم في تمبكتو في بلاد التكرور خلال القرن 16م ودور الأقاف في إزدهار دعوة الحق"، العدد230، وارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، أوت1983.
5. سليماني يوسف: "منابر العلوم والثقافة في إفريقيا جنوب الصحراء (حاضرة تمبكتو نموذجا)"، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد الأول، ماي 2014م.
6. سوزي أباضة محمد حسن: "عائلة أقيت وإسهاماتها الثقافية في تنبكت"، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد26،2004م.
7. شعباني نور الدين: "الفن والعمارة في مملكة مالي الإسلامية"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد الرابع، د.ت.
8. صالح محمد الصيديقين:"التأثير الفكري والثقافي في المغرب الأوسط في السودان الغربي ما بين القرنين (7-9هـ / 13-15م)"، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والإجتماعية، العدد الثامن، ديسمبر 2018م.
9. عبد العزيز فادية ، إبراهيم القطعاني: "المراكز الحضارية في القارة الإفريقية ودورها التعليمي والثقافي في بلورة الشخصية الإفريقية"، مجلة التعليم العربي الإسلامي في إفريقيا، العدد الأول، 2015.
10. عبد الله عبد العزيز: "ملاحق الموسوعة المغربية لإعلام البشرية"، مجلة المتأهل، العدد36، الرباط، 11976.
11. عطا الله الجمل شوقي: "تنبكت وعلاقتها بالمغرب قبل حملة المنصور السعدي وتحت الحكم المغربي"، ندوة دولية، المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء في بدايات العصر العديث، مراكش، أكتوبر، 1992م.
12. عيسى عبد الله: "التعليم في غرب إفريقيا خلال القرن 10، مجلة البيان، العدد 328، 2004م.
13. فارح ميهوب: "دور الفقهاء المغاربة في نشر العلوم الشرعية في بلاد السودان خلال القرن (5-10هـ /11-16م)"، مجلة الباحث، العدد 19، د.ت.

14. مبروك فاطمة محمود: "العمالي الإسلامية في إمبراطورية السنغاي زمن الأسقين 898-1000هـ / 1492-1591م)ن معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2008.

15. ميغا عبد الرحمان: "العركة العلمية في مدينة تمبكتو خلال القرنين 9و10هـ"، مجلة دار الحديث الحسنية، العدد 14، المملكة المغربية، 1997.

رابعًا: الدراسات السابقة

1. ألفاجالو محمد: الحياة العلمية في دولة سنغاي خلال الفترة 1464-1591م، ةرسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1993م.
2. باي مريم وآخرون: الدور الإقتصادي والثقافي لمدينة تمبكتو خلال القرن (10-16م)، مذكرة الماجيستير، المركز الجامعي بالوادي، معهد العلوم الإنسانية والإجتماعية، 2012م.
3. شعباني نور الدين: علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وآثارها الحضارية بين القرنين 4-9هـ/10-15م، أطروحة لنيل ماجيستير في التاريخ جامعة الجزائر، 2005، 2006م.
4. عبد العباس إبراهيم ، الحركة الفكرية والعلمية لمدينة مراكش منذ تأسيسها حتى سقوطها، الدولة الموحدية وأثرها على المراكز العلمية جنوب الصحراء، رسالة ماجيستر، جامعة القاهرة، 1980م.
5. مقاديم عبد الحميد: المدارس العلمية ودورها السياسي والثقافي في السودان الغربي أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة بن بلة، وهران، 2018،2017م.
6. نعمة عبد السلام الحسين: علاقة بلاد السودان ببلاد المغرب العربي منذ الفتح الإسلامي، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، أم درمان الإسلامية، 1420ه /1999م .

فهـــرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة.....1
الفصل الأول: منطلقات جغرافية وتاريخية لمدينة تمبكتو.....04
المبحث الأول: الجغرافيا والسكان.....05
أولا: الموقع.....05
ثانيا: أصل التسمية.....07
ثالثا: التركيبة السكانية.....09
المبحث الثاني: تأسيس حضارة تمبكتو وتطورها.....10
أولا: مفهوم الحضارة.....10
ثانيا: تأسيس مدينة تمبكتو.....12
ثالثا: تحولها إلى حضارة.....14
المبحث الثالث: الأهمية الاقتصادية والاجتماعية لحضارة تمبكتو.....17
أولا:الأهمية الاقتصادية.....17
ثانيا: الحياة الاجتماعية.....23
الفصل الثاني: البيوتات العلمية في تمبكتو وعوامل ظهورها.....26
المبحث الأول: الظروف والعوامل المساعدة في ظهور البيوتات العلمية..27
أولا: الازدهار التجاري.....27
ثانيا: انتشار العلماء.....28

ثالثا: دور الحكام في انتشار وتطور الثقافة.....32
رابعا: المراكز العلمية.....35
المبحث الثاني: أهم البيوتات العلمية في حاضرة تمبكتو.....39
أولا: بيت عائلة أقيت.....39
ثانيا: بيت عائلة بغيغ.....48
ثالثا: بيت عائلة أندغ.....50
رابعا: بيت عائلة البلبالي.....52
خامسا: بيت عائلة التواني.....53
المبحث الثالث: أثر البيوتات العلمية في ازدهار مدينة تمبكتو.....55
أولا: الأثر السياسي.....55
ثانيا: الأثر الاقتصادي.....55
ثالثا: الأثر الثقافي.....56
رابعا: الأثر الاجتماعي.....58
الفصل الثالث: دور البيوتات في نشر العلم وحركة التأليف.....60
المبحث الأول:دور البيوتات العلمية في العلم والثقافة العربية الإسلامية...61
أولا: دورهم في التعليم.....61
ثانيا: تأسيس المكتبات 70
ثالثا: توليهم منصب القضاء والإمامة.....73
المبحث الثاني: حركة التأليف للبيوتات العلمية.....77
أولا: عائلة أقيت.....77
ثانيا: عائلة أندغ.....80
ثالثا: عائلة بغيغ.....82
المبحث الثالث: دور البيوتات العلمية في التواصل العلمي والثقافي.....83

أولا: مع بلاد المشرق.....83
ثانيا: مع بلاد المغرب الإسلامي.....85
ثالثا: مع شعوب غرب إفريقيا جنوب الصحراء.....86
الخاتمة.....88
الملاحق.....90
قائمة المصادر والمراجع.....97